أسلوب التمني

في

القرآن الكريم بأداته الأصلية ليت

دراسة تحليلية موضوعية

الأستاذ الدكتور

محمد السيد سعد محمد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بكفر الشيخ

جامعة الأزهر

محمـــد السيد سعد محمـــد .

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بكفر الشيخ، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني:mohamedsaad٧١@azhar.edu.eg

الملخص

يهدف البحث إلى دراسة أسلوب التمني في القرآن الكريم بأداته الأصلية ليت ، وقد بينت معناه العام والذي هو طلب حصول الشيء على سبيل المحبة، والشيء المطلوب يكون في التمني دائما غير متوقع، ويدخل فيه ما لا سبيل إلى تحقيقه، فإذا كان المطلوب الممكن متوقعا، كان الكلام ترجيا والعبارة عن ذلك تكون بـــ (لعل وعسى)، فإذا قلت: ليت زيدا يجيء، كان وراء ذلك إحساس بأن مجيء زيد من الأمور المتوقعة.

فالفرق بين التمني والترجي في المطلوب الممكن، أما غير الممكن فلا يأتي فيه الترجي، إن المعاني التي نعدها من باب التمني ذات طبيعة خاصة، فهي من المعاني التي تتعلق وتشتاق إليها النفوس، سواء أكانت بعيدة أو مستحيلة، ثم إن البعد فيها ربما لا يكون بعدا بالنسبة للواقع أو العقل، وإنما هو بعد من حيث إحساس النفس به ، نقول: ليتني أفعل كذا أو أقدر عليه، أو ليتني ألقى فلانا، فتفيد بذلك أنك تحس ببعد هذا الفعل أو هذه القدرة ،أو هذا اللقاء، وقد يكون ذلك كله غير بعيد في واقع الأمر أو عند غيرك، ولكن شدة رغبتك فيه أوهمتك أنه مستبعد– فقد يغلب على النفس الإحساس باليأس، فتستبعد القريب، وقد يغلب الشعور بالأمل فيقرب البعيد.

وإن كان هناك أدوات تخرج عن معانيها الأصلية ، وتستعمل في معاني أخرى فإننا لا نجد الأمر كذلك في أداة التمني الأساسية " ليت " فالبلاغيون لم يتكلموا على إفادة ليت معنى غير معنى التمني وذلك إنما يدل على عراقة هذه الأداة في أسلوب التمني .

(ليت) هي الأداة الأصلية الموضوعة للتمني بإجماع ، ومعناها أتمني.

وقد كانت دراستي في هذا البحث متوجهة صوب هذه الأداة الأصلية إذ ورد التمني بهذه الأداة _ ليت_ في القرآن في أربع عشرة آية ، حاولت من خلالها الكشف عن المراد من التمني والغرض منه وسوف أستفيض في الحديث عنها فيما بعد .

الكلمات المفتاحية: التمني، ليت، أداة، أسلوب، معاني، القرآن الكريم.

Mohamed Elsayed Saad Mohamed.

Department of Tafsir (interpretation) and the Qur'anic sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies in Kafr Elshik, Women's branch, Al-Azhar University, Egypt.

Email: **mohamedsaad٧١@azhar.edu.eg**

Abstract

Wistfulness': the request for something for love, and what is required in the wish is always unexpected, and enters what is not possible to achieve, if the desired possible expected, the speech was Esperance and the words are (perhaps perhaps), if I said: I wish Coming, there was a sense that Zaid's coming was expected.

The difference between wishful thinking and Esperance is possible, but it is not possible that Esperance does not come. The meanings that we consider for the sake of wishful thinking are of a special nature. They are meanings that relate to and derive souls, whether they are far or impossible, then that dimension may not be a dimension. As for reality or mind, but it is a dimension in terms of self-sense, we say: I wish to do so or I can, or I wish to cast so and so that you feel the dimension of this act or this ability, or this meeting, and may be all not far in In fact, or in others, but the intensity of your desire or illusions that it is unlikely - the self-dominance may feel a sense of despair, so Near town, has dominated the feeling of hope Afikrb run.

If there are tools that depart from their original meanings, and they are used in other meanings, we do not find the same in the basic wish tool "layt".

(layt) is the original tool set for wishful thinking unanimously, and its meaning I wish

My study in this research was oriented towards this original tool, as the wish was received this tool _ Let _ in the Koran in fourteen verses, through which I tried to reveal what is intended and the purpose of the wish I will elaborate on later.

keywords: wishing, layt (would), stile, Holy Quran.

المقدمة

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا * قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا }{سورة الكهف آية:١ ، ٢}. والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ أرسله ربه شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فهو المبعوث بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان – صلى الله عليه وسلم – الرحمة المهداة والنعمة المسداة لهذه الإنسانية كلها .

أما بعد

فإن القرآن الكريم هو كتاب رب العالمين ، وحبله المتين ، وصراطه المستقيم ، وهو المنهج الكامل لإصلاح الفرد والمجتمع ، وهو المعجزة الكبرى الخالدة ما دامت السماوات والأرض ، وهو الحجة البالغة ، أنزله الله على خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ ، فكشف به ظلمات الجهل وأسباب العذاب ، وفتح به الطريق إلى سعادة الدارين ، وأمر بتدبره فقال : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَاب ﴾ [ص : ٢٩] ، وتكفل بحفظه فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]

والحمد لله أن من عليَّ بالحياة في ظلال القرآن فترة من الزمان وهى التي مضت من عمرى في هذه الحياة ذقت فيها من نعمته مالم أذقه قط في حياتي ، وهى نعمة تبارك العمر وتزكيه .

ولما كنت بصدد الإعداد لبحث في التفسير ، فقد وقع اختياري على موضوع هذا البحث وهو:(أسلوب التمني في القرآن الكريم بأداته الأصلية ليت دراسة تحليلية موضوعية) وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع أسباب عدة منها :

١– أن هذا الموضوع لم يظفر بدراسة مستقلة – فيما أعلم – فأردت أن أقوم بهذه الدراسة .

٢- رغبتي الشديدة في جمع الآيات القرآنية التي ورد فيها التمني بالحرف ليت ، والوقوف على خصائص هذا الأسلوب في هذه الآيات .

٣- أردت من خلال هذه الدراسة أن تكون مشتملة على الدراسة التحليلية الموضوعية ، وهذا الأمر لم يتسن لي فعله في الأبحاث السابقة .

٤- استخدام القرآن لهذا الأسلوب في مواطن كثيرة ، الأمر الذي يستدعي الانتباه، ثم الوقوف والتأمل في أسرار هذا الاستخدام.

٥- الاعتقاد بأن هذا البحث فيه خدمة لكتاب الله تعالى، وفيه تيسير على طلبة العلم لفهم هذا الأسلوب وإعطاء تصور شامل عنه.

٦- الميول والرغبة الشخصية في دراسة القضايا البلاغية في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة

١- أسلوب التمني في القرآن الكريم للشنقيطي ، مختار عمر مختار ، رسالة ماجستير جامعة ال البيت كلية الدراسات الفقهية والقانونية بالأردن ٢٠٠١ .

٢- اساليب التمنى فى القرآن الكريم للباحث بسيوني عبد الفتاح فيود ، رسالة ماجستير بجامعة الأزهر ٢٠٠٢ .

٣- التمني في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية)أ. محمد باجس موسى فواق مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات – المجلد الثامن – العدد أيلول .

٤- أساليب التمني في القرآن الكريم دراسة بلاغية ، د/صالح أحمد عبد الوهاب عبد القوي ، رسالة ماجستير كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ٢٠٠٢ .

٥- التمني في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية)تأليف: إبراهيم شيخان كميت تاريخ النشر: ٢٠١٣/١٢/١٩ الناشر: دار المدينة الفاضلة للطباعة والنشر والتوزيع

هذا وقد اقتضت طبيعة هذا البحث تقسيمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة .

المقدمة وتحدثت فيها عن : أسباب اختيار الموضوع ومنهج البحث فيه وخطة البحث .

وجاء المبحث الأول بعنوان : التعريف بمفردات البحث ، وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الأسلوب في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : التمني في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثالث : تعريف القرآن لغة واصطلاحا .

المطلب الرابع : أدوات التمني .

المطلب الخامس : الفرق بين التمني الرجاء .

وجاء المبحث الثاني بعنوان : آيات التمني في القرآن الكريم بـــليت دراسة تحليلية موضوعية وفيه مطالب :

المطلب الأول : تمني المنافقين الفوز والظفر بالغنائم .

المطلب الثاني : تمني الكفار الرجوع إلى الدنيا يوم القيامة .

المطلب الثالث : تمني عدم الشرك بالله .

المطلب الرابع : تمني الموت خشية الفتنة .

المطلب الخامس : تمني الظالمين اتباع هدي النبي وعدم اتباع غيره .

المطلب السادس : التمني في سياق الانخداع بظواهر الأمور .

المطلب السابع : التمني في سياق اليأس والقنوط .

المطلب الثامن : التمني الكاشف عن الصدق والإخلاص .

المطلب التاسع : تمني الكفار عدم اتخاذ الشياطين قرناء .

المطلب العاشر : تمني الكفار دوام الموت وعدم البعث .

المطلب الحادي عشر : التمني في سياق الحرص على الحياة الدنيا .

وجاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج التي توصل البحث إليها ، ثم أتبعتها بثبت للمصادر والمراجع ، وقد كان عملي في هذا البحث على النحو التالي :

١- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني.

٢- عزو الآيات إلى مواضعها من سورها .

٣- ترتيب الآيات القرآنية التي ورد فيها أسلوب التمني بحسب ورودها في المصحف .

٤- التعليق على الآيات القرآنية التي ورد فيها أسلوب التمني تعليقا موجزا ، ويشمل :

أ- بيان وجه ارتباط الآية بالآيات التي قبلها .

ب- إبراز بعض المسائل الإعرابية والنحوية الموجودة في الآية .

ج- إبراز بعض النكات البلاغية الواردة في النص الكريم .

د- حين تتعدد الأقوال في تفسير الآية أذكر هذه الأقوال مجملة ثم أرجح ما أراه راجحا تبعا لقواعد الترجيح المعمول بها .

هـ- بيان المعنى الذي تشير إليه الآية الكريمة .

و- بيان الغرض الذي سيق من أجله التمني في الآية .

٥- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها ،فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بالعزو إليهما أو إلى أحدهما، وإن كان في غيرهما فأذكر من خرَّجه، مع ذكر

كلام أهل العلم على الحديث، من حيث القبول والرد .

٦- توثيق الأقوال المأثورة من مصادرها الأصيلة.

٧- توثيق الأبيات الشعرية ونسبتها إلى قائليها ، فإن لم أجدها في دواوين أصحابها فمن مظانها من الكتب المتقدمة .

٨- توضيح الألفاظ الغريبة الواردة في البحث .

٩- اكتفيت بذكر اسم الكتاب ورقم الجزء والصفحة ، أما بقية بيانات الكتب والمصادر الواردة في البحث فقد أرجأتها إلى فهرس المراجع والمصادر، ولم أتعرض لذكر بيانات الكتاب في الحواشي خشية الإطالة .

هذا وقد حاولت قدر استطاعتي أن يشكل بحثي لبنة في صرح المكتبة الإسلامية ، فإن كنت قد وفقت فلله الحمد والمنة ، وإن كانت الأخرى – وأرجو ألا تكون – فحسبي صدق نيتي وشغفي بالعيش في ظلال القرآن الكريم ، وأسأل الله العظيم أن يجعل عملي صالحا، ولوجهه خالصا وأن يتقبل ذلك مني إنه قريب مجيب.

كما أسأله– جل وعلا– أن يكتب الأجر العميم للوالدين الكريمين ، وأن يرحمهما كما ربياني صغيرا وأن يجزيهما عني خير الجزاء، فقد ذللا لي كل عقبة في تحصيل العلم النافع، وشرحا صدري برضاهما عني ودعائهما لي، فالله الكريم أسأل أن يجزيهما عني خير الجزاء، فإني عاجز عن رد عشر معشار إحسانهما وبرهما .

وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المبحث الأول
التعريف بمفردات البحث

وفيه مطالب

المطلب الأول : تعريف الأسلوب في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : التمني في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثالث : تعريف القرآن لغة واصطلاحا .

المطلب الرابع : أدوات التمني .

المطلب الخامس : الفرق بين التمني الرجاء .

المبحث الأول

التعريف بمفردات البحث

المطلب الأول

تعريف الأسلوب في اللغة والاصطلاح

طالما دارت كلمة (الأسلوب) في كتابات النقاد ودارسي الأدب في تنظيرهم و تطبيقاتهم على النصوص ، و طالما ذكرها البلاغيون المحدثون في أطروحاتهم البلاغية الجديدة و رؤاهم المعاصرة ؛ لهذا أحببت أن أقدم في السطور التالية إضاءة لهذه الكلمة ، و تقريبًا لمفهومها من خلال التعريف بها من زوايا متعددة ...

أولا: الأسلوب في اللغة

يطلق الأسلوب في لغة العرب إطلاقات متعددة ، فيطلق ويراد به الطريق بين الأشجار ، والفن والوجه والمذهب، ويراد به أيضا الشموخ بالأنف، وقد يراد به عنق الأسد ، ويقال لطريقة المتكلم في كلامه أيضا ، وأنسب هذه المعاني بالاصطلاح الآتي هو المعنى الأخير ، و قد عرّف عبد القاهر الجرجاني الأسلوب بأنه " الضرب من النظم و الطريقة فيه " (١) . وعرّفه ابن خلدون بأنه " المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي تُفرغ فيه " (٢)

مما سبق يتضح لنا أن مادة الأسلوب في اللغة يدور محورها حول عدة معانٍ ، مثل الفن والوجه والمذهب إلخ .

وأولى هذه المعاني بالقبول أن الأسلوب : هو الفن أو المذهب لكن مع التقييد.(٣) أو طريقة المتكلم في كلامه وهذا هو الأولى بالقبول .

---

(١) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص ٤٦٩.

(٢) المقدمة لابن خلدون ص ٥٧٠.

(٣) لسان العرب لابن منظور ،ج٦ ص(٤٥٣) مادة (سلب)

ثانيا :الأسلوب في الاصطلاح

إذا ما أردنا تعريفًا دقيقًا شاملاً لهذا المصطلح فإن الأسلوب يعني " جملة الصيغ اللغوية التي تعمل عملها في إثراء القول وتكثيف الخطاب ، و ما يستتبع ذلك من بسط لذات المتكلم ، و كشف عن سرائره ، و بيان لتأثيره على السامع ". (١)

وعلى ذلك فإن هذا التعريف الاصطلاحي للأسلوب يتوافق مع تعريف الأسلوب في اللغة .

ومن هنا فإننا نجد علاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ، وهي : أن الأسلوب عبارة عن الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه .

وبناءً على ما سبق فإن الأسلوب المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه ،أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك.

معنى أسلوب القرآن : وعلى هذا فأسلوب القرآن الكريم ،هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه ، ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوب خاص به، فإن لكل كلام إلهي أو بشري أسلوبه الخاص به ، وأساليب المتكلمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعر أو نثر تتعدد بتعدد أشخاصهم ،بل تتعدد في الشخص الواحد بتعدد الموضوعات التي يتناولها والفنون التي يعالجها.(٢)

---

(١) التركيب اللغوي للأدب : بحث في فلسفة اللغة و الاستطيقا ، د . لطفي عبد البديع ، ص ٥٧.

(٢) مناهل العرفان للزرقاني ج٢ ص(٣٠٢)

المطلب الثاني

التمني في اللغة والاصطلاح

أولا: التمني في اللغة

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس "(مَنِيَ) الْمِيمُ وَالنُّونُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى تَقْدِيرِ شَيْءٍ وَنَفَاذِ الْقَضَاءِ بِهِ. ومِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَنَى لَهُ الْمَانِي، أَيْ قَدَّرَ الْمُقَدِّرُ." (١)

" وَقَالَ ابنُ الْأَثِير: التَّمنِّي تَشَهِّي حُصُولِ الأمْر المَرْغوب فِيهِ. (٢)

وَقَالَ الرَّاغبُ: التمنِّي تَقْديرُ شيءٍ فِي النَّفْسِ وتَصْويرُه فِيهَا؛ وَذَلِكَ قد يكونُ عَن تَخْمِين وظَنَ، ويكونُ عَن رَوِيَّةٍ وبناء على أَصْلٍ، لَكِن لما كَانَ أَكْثَره عَن تَخْمِين صارَ الكَذِبُ لَهُ أَمْلَك فأَكْثَر التَّمنِّي تَصوّر مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ. (٣)

ومَنَّاهُ إيَّاه ومَنَّاهُ بِهِ تَمْنِيَةً جَعَلَ لَهُ أُمْنِيّته؛ وَهِي المُنْيَةُ، بالضَّمِّ وَالْكَسْر، والأُمْنِيَّةُ، بالضَّمِّ ، وَهِي أُفْعُولَةٌ وجَمْعُها الْأَمَانِي.

قالَ الأزْهرِي : وَهَذَا لَحْنٌ عنْدَ الفُصَحاءِ إنَّما يقالُ مُنْية على فُعْلَة وجَمْعُها مُنًى، ويقالُ: أُمْنِيَّةٌ على أُفْعُولَة، وجَمْعُها أَمانِيٌّ بتَشْديد الياءِ وتَخْفِيفِها. (٤)

(وتَمَنَّى) تَمَنِّياً: (كَذَبَ) ، وَهُوَ تَفَعُّل مِن مَنَى يَمْنِي إِذا قَدَّرَ لأنَّ الكاذِبَ يُقدِّرُ فِي نَفْسِه الحديثَ.

وَقَالَ الرَّاغِبُ: لَّما كانَ الكَذِبُ تَصوُّر مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ وإيرَاده باللّفْظِ صارَ التَّمَنِّي

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٧٦/٥

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣٦٧/٤

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٣٩١/٢

(٤) تهذيب اللغة للأزهري ٣٨١/١٥

كالمَبْدإ للكَذِبِ فصحَّ أنْ يُعَبَّرَ عَن الكذِبِ بالتَّمنِّي . (١)

(و) تَمَنَّى (الكِتابَ: قَرَأَهُ) وكَتَبَه؛ وَبِه فُسِّر قولُه تَعَالَى: ﴿ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ [الحج: ٥٢] ؛ أَي قَرَأَ وتَلا فَأَلْقَى فِي تِلاوَتِه مَا ليسَ فِيهِ؛ وتَمَنَّى الحديثَ: اخْتَرعَهُ وافْتَعَلَهُ وَلَا أَصْلَ لَهُ؛ وَمِنْه قولُ رَجُل لرجل وَهُوَ يُحدِّثُ: هَذَا شيءٌ رَوَيْتَه أَمْ شيءٌ تَمَنَّيْتَه؟ أَي افْتَعَلْتَه واخْتَلَقْتَه وَلَا أَصْلَ لَهُ. ويقولُ الرَّجُل: واللَّه مَا تَمَنَّيْت هَذَا الكلامَ وَلَا اخْتَلَقْته. (٢)

مما سبق يتبين لنا أن الدلالات اللغوية لكلمة التمني يدور محورها حول عدة معانٍ:

الأول : التقدير و التشهي . الثاني : الكذب

الثالث : الكتابة . الرابع : القراءة

الخامس : الاختراع والافتعال

وأشهر هذه المعاني كلها على الإطلاق : التقدير والتشهي وهذا ما ذهب إليه أهل اللغة .

ثانيا : التمني في الاصطلاح

هو : طلب حصول الشيء على سبيل المحبة(٣)، أو هو طلب مالا طمع فيه أو ما فيه عسر(٤)

وعرفه العلوي بأنه " عبارة عن توقع أمر محبوب فى المستقبل، والكلمة الموضوعة له حقيقة هى «ليت» وحدها ، وقد يقع التمنى «بهل» و «لو» وليس من شرط المتمنى أن يكون ممكنا بل يقع فى الممكن وغير الممكن ." (٥)

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٣٩١/٢

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ٥٦٣/٣٩

(٣) دلالات التراكيب محمد محمد أبو موسى صـــ ١٩٩

(٤) الأوضح لابن هشام ٢٩٤/١

(٥) الطراز للعلوي ١٦٠/٣

ويستعمل في الممكن والمحال بشرط ألا يكون للمكن توقع أو طمع وإلا استعمل له أسلوب الترجي .

وعرفه ابن يعقوب المغربي بقوله : «هو طلب حصول الشيء بشرط المحبة ونفي الطماعية في ذلك الشيء» ، فخرج ما لا يشترط فيه المحبة، كالأمر والنهي والنداء والرجاء بناء على أنه طلب، وأما نفي الطماعية فلتحقيق إخراج نوع الرجاء الذي فيه الإرادة، وإخراج غيره مما فيه الطماعية . (١)

يقول السكاكي عن التمني "أو ما ترى كيف تقول: ليت جاءني فتطلب كون غير الواقع فيما مضى واقعاً فيه مع حكم العقل بامتناعه أو كيف تقول: ليت الشباب يعود فتطلب عودة الشباب مع جزمك بأنه لا يعود أو كيف تقول: ليت يأتيني أو ليتك تحدثني فتطلب إتيان زيد أو حديث صاحبك في حال لا تتوقعهما ولا لك طماعية في وقوعهما إذ لو توقعت أو طمعت لاستعملت لعل أو عسى " (٢)

ومن ذلك يتضح أن التمني : طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله : إما لكونه مستحيلا ، والإنسان كثيرا ما يحب المستحيل ويطلبه ، وإما لكونه ممكنا غير مطموع في نيله .

---

(١) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي على هامش مختصر سعد الدين التفتازاني ٢ / ٢٣٩.

(٢) مفتاح العلوم للسكاكي ٣٠٣/١

المطلب الثالث

تعريف القرآن لغة واصطلاحا

أولا: (القرآن) في اللغة

العلماء في بيان لفظة (القرآن) فريقان، فريق يرى أنه مشتق، وآخر يرى أنه اسم علم غير منقول، وضع أول ما وضع اسما لكتاب الله تعالى، فهو جامد غير مشتق.

الفريق الأول: الذين قالوا باشتقاقه ، اختلفوا على قولين:

القول الأول: أنه مصدر مهموز، وقد اختلفوا في أصل اشتقاقه :

قيل: مصدر (قرأ) بمعنى (تلا) مرادف للقراءة، كالغفران والرجحان ([1]) قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ [القيامة: ١٧، ١٨]

قال ابن عطية: قرأ الرجل بمعنى تلا، يقرأ قرآنا وقراءة. وفي التنزيل:

وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً [الإسراء : ٧٨] أي: قراءة الفجر.

قال حسان بن ثابت في عثمان بن عفان رضي الله عنهما :

ضحّوا بأشمط عنوان السّجود به ... يقطّع اللّيل تسبيحا وقرآنا([2])

أي : قراءة ([3]) .

وقيل: مشتق من (قرأ) بمعنى (جمع)، تقول: قرأت الشيء قرآنا، بمعنى: جمعته، وهو من ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض . ([4])

([1]) لسان العرب لابن منظور (قرأ): ١/ ١٢٩

(٢) ديوان حسان بن ثابت ١/٢٣٠ ، والمعنى هؤلاء المردة الفجرة ضحوا برجل عنوان السجود في وجهه، أشمط أي: شيخ لأنه بلغ الثمانين، يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً ، شرح ديوان حسان بن ثابت للبرقوقي صـ ٣٣٩ بتصرف .

([3]) تفسير ابن جرير ١/ ٩٧ وابن عطية: ١/ ٦٩والقرطبي: ٢/ ٢٩٨

([4]) تهذيب اللغة للأزهري (قرأ): ٩/ ٢٧١ ، ومعاني القرآن للفراء: ٣/ ٢١١ ، والصحاح للجوهري

وقيل: مشتق من (القرء).

وهو أيضا بمعنى (الجمع) قال أبو إسحاق: القرء في اللغة بمعنى الجمع.

قال الماوردي: ولهذا سمي قرء العدّة قرءا لاجتماع دم الحيض في الرحم. (١)

وعن قطرب : قرأت الماء في الحوض : أي جمعته، وقرأت القرآن: لفظت به مجموعا. (٢)

قال أبو عبيدة : سمي بذلك لأنه جمع السور بعضها إلى بعض. (٣)

وقيل: لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض (٤) وعن الراغب قول بعضهم : سمي قرآنا لكونه جامعا لثمرات الكتب بل لجمعه ثمرة جميع العلوم (٥)

القول الثاني: أنه مصدر غير مهموز، وقد اختلفوا في أصل اشتقاقه:

فقيل: مشتق من (القرى)، تقول: قريت الماء في الحوض: أي جمعته (٦)

ومنه القرية لاجتماع الناس فيها. (٧) قال السمين الحلبي: وهو غلط لأنهما مادتان

= (قرأ): ١/ ٦٥والمفردات للراغب: ٤٠٢ولسان العرب لابن منظور (قرأ): ١/ ١٢٣والتيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي: ١٥٩والإتقان للسيوطي: ١/ ١٦٢.

(١) تفسير الماوردي ٢٤/١

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج: ١/ ١٧٠و ١/ ٣٠٥

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ١والتيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي: والبرهان للزركشي: ١/ ٢٧٧والإتقان للسيوطي: ١/ ١٦٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٤/ ٣٠والإتقان للسيوطي: ١/ ١٦٢.

(٥) المفردات للراغب: ٤٠٢، والبرهان للزركشي: ١/ ٢٧٧.

(٦) تهذيب اللغة (قرأ): ٩/ ٢٧١ومعاني القرآن للزجّاج: ١/ ٣٠٥، وجمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٣.

(٧) معجم مقاييس اللغة (قرى): ٥/ ٧٨.

متغايرتان . ([1])

وقيل: مأخوذ من (القرائن) لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا ويشابه بعضها بعضا وهي قرائن، ([2]) واعترض الزجاج فقال: هذا سهو، والصحيح أن ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها. ([3])

الفريق الثاني: الذين قالوا بعدم اشتقاقه ، وقالوا : إنه غير مهموز ، بل هو اسم علم غير منقول ، وضع أول ما وضع اسما لكتاب الله ، وروي عن الإمام الشافعي ، كما روي عنه أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين، كان يقول: القرآن اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من: قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل. قال:

ويهمز: قرأت ولا يهمز القرآن ([4]) ، وهو اختيار السيوطي في الإتقان. ([5])

ويعترض على هذا الرأي بأن العلم المرتجل نادر جدا، وأن الغالب في الأعلام أنها منقولة، بل ذهب سيبويه إلى أن الأعلام كلها منقولة ([6])، كما يعترض عليه بأن معظم القراء السبعة قرئوا لفظ (القرآن) بالهمز.([7])

والذي يترجح لديّ والله أعلم بعد النظر في أقوال أهل العلم أن نقول:

القرآن مصدر مهموز مشتق من (قرأ) بمعنى (تلا). وهو رأي يسلم من

([1]) انظر الدر المصون للسمين الحلبي: ٢/ ٢٨١.

([2]) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ٢٧٨.

([3]) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٢٧٨ قال : وقد أشار إليه أبو علي الفارسي في (الحلبيات) والإتقان للسيوطي: ١/ ١٦٢.

([4]) تهذيب اللغة للأزهري (قرأ) : ٩/ ٢٧١، والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ٢٧٧وغاية النهاية لابن الجزري: ١/ ١٦٦.

([5])ا لإتقان للسيوطي: ١/ ١٦٣

([6]) الكتاب لسيبويه

([7]) المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ١٨.

الاعتراضات الموجهة إلى غيره ، فالهمزة أصلية ، وفيه معنى الجمع ، ولم يغفل معنى التلاوة ، والأهم من هذا أنه يستقيم تماما مع قوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ } [القيامة: ١٧] والمعنى: إن علينا جمعه وتلاوته، فإذا قرأناه فاتبع تلاوته والله أعلم .

ثانيا : (القرآن) في الاصطلاح، أو في تعريف أهل العلم

القرآن كلام الله المنزّل على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم. وهو غير مخلوق، تكلم الله به ابتداء، وكلامه تعالى قائم بذاته، ولم يزل عز وجلّ متكلما إذا شاء، والقرآن كلامه تعالى بحرف وصوت، تكلم به سبحانه بصوت نفسه وحروف نفسه، وذلك غير مخلوق .

والقرآن هو اللفظ والمعنى معا، سمعه جبريل من الله عز وجلّ، وبلّغه إلى محمد صلى الله عليه وسلم وسمعه ([1]) .

والتعريف الحقيقي للقرآن هو استحضاره معهودا في الذهن أو مشاهدا بالحس كأن يشير إليه مكتوبا بالمصحف، أو مقروءا باللسان فتقول :

هو ما بين الدّفتين. أو تقول: هو { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إلى قوله: مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ }

وقد حاول العلماء وضع تعريف للقرآن ليميزوه عن الكتب السماوية السابقة والأحاديث القدسية، وليس بهدف رفع الجهالة عنه إذ الجهالة مرفوعة، ولهذا عرفوه بذكر بعض خصائصه، وتفاوتت اهتماماتهم بذكر هذه الخصائص، وتناوبت بين الإطناب والإيجاز، فمن أطنب كانت حجته أن مقام التعريف مقام إيضاح وبيان، ومن اختصر فأوجز فبحجة استحالة حصر خصائص القرآن، فهو كتاب لا تنقضي عجائبه.

([1]) شرح العقيدة الطحاوية: ١٧٩ط المكتب الإسلامي وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٢/ ٤٠٣٦ ، والعقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله الجديع: ٦٣.

وفريق ثالث اقتصد فتوسط وقال: القرآن هو الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته. (١)

ومن تعاريف الموجزين: هو اسم لهـــذا المنزّل العربي إذا عرّف باللام (٢). أو هو: اللفـــظ المنزّل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أول الفاتحـــة إلى آخـــر سورة الناس (٣) .

ورأى آخرون أن القرآن ليس بحاجة إلى تعريف منطقي ، فلا معنى لإضاعة الوقت حول طول التعريف أو قصره ، ومدى إحاطته بصفات كتاب الله العزيز (٤) .

ولا أرى مانعا من ذكر تعريف يضم أهم خصائص كتاب الله لتمييزه لا لرفع الجهالة عنه، إذ الجهالة مرفوعة، وقد عرّف تعالى القرآن في كتابه الكريم فقال: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلىَ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: ١٩٤]، وبحث العلماء في الصفات الخاصة لكتاب الله فوجدوها: في الإنزال على النبي صلى الله عليه وسلم، والإعجاز، والنقل بالتواتر، والكتابة في المصاحف، والتعبد بالتلاوة. (٥) أضفنا إليها صفة خامسة فقيدنا الإنزال على النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام، نكون قد وضعنا قيودا ضابطة بإذن الله، وعليه نقول في تعريف القرآن الكريم بأنه: كلام الله المعجز، المتعبّد بتلاوته، المنزّل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم بوساطة جبريل عليه السلام ، والمنقول إلينا بالتواتر والموجود بين دفتي المصحف .

---

(١) هذا التعريف منسوب للأصوليين والفقهاء وعلماء العربية، انظر: الكليات لأبي البقاء : ٤/ ٣٤وروضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة: ١/ ١٨٠ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ١٢ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح: ٢١.

(٢) الكليات لأبي البقاء: ٤/ ٣٤.

(٣) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي: ١/ ٨٤ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ١٢.

(٤) في علوم القرآن دراسات ومحاضرات للكفافي والشريف: ٢٢.

(٥) المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ٢٠.

المطلب الرابع

أدوات التمني

قلنا فيما سبق أن التمني يستعمل في الممكن والمحال وذلك لأن ماهية التمني محبة حصول الشيء سواء كنت تنتظره أم لا وتترقب حصوله أم لا وله أدوات نوردها على التفصيل الآتي :

أولا : ليت

(ليت)هي الأداة الأصلية الموضوعة للتمني بإجماع ، ومعناها أتمني يقول السكاكي " اعلم أن الكلمة الموضوعة للتمني هي ليت وحدها " (١)

فهذه الأداة (ليت) هي أظهر لفظ وضع للتمني (٢) وهو حرف تمن ، يتعلق بالمستحيل غالبا (٣)، كقول الشاعر :

ألا ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب (٤)

وبالممكن قليلا(٥) وقد عرفه النحاة بأنه " تركيب لطلب الشيء المحبوب الذي لا يتوقع ولا يرجى حصوله او فيه عسر " (٦) وهي من الحروف الناصبة تنصب الاسم وترفع الخبر(٧) إذا كان مفردا فإن كان غير مفرد حكمت عليه بالرفع (٨) وتبنى على

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكي ٣٠٣/١

(٢) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة للجرجاني صـ ١١٤

(٣) حروف المعاني للزجاج ص ٥

(٤) ديوان أبو العتاهية ص ٤٦ والبحر العروضي الوافر التام .

(٥) مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب لابن هشام ٢٢١/١

(٦) شرح المفصل لابن يعيش ٨٤/٨

(٧) معاني الحروف للرماني ص ١١٣

(٨) الكتاب لسيبويه ٢٦٠/٣

الفتح ([1])

وهي وحدها أداة التمني الأساسية ([2]) ووراء كلمة ليت ظمأ لا يروى ، وأنها تصف آمالا حبيسة ورغائب لا سبيل إلى تحقيقها . ([3])

وإن كان هناك أدوات تخرج عن معانيها الأصلية ، وتستعمل في معاني أخرى فإننا لا نجد الأمر كذلك في أداة التمني الأساسية " ليت " فالبلاغيون لم يتكلموا على إفادة ليت معنى غير معنى التمني وذلك إنما يدل على عراقة هذه الأداة في أسلوب التمني .

وقد كانت دراستي في هذا البحث متوجهة صوب هذه الأداة الأصلية إذ ورد التمني بهذه الأداة _ ليت_ في القرآن في أربع عشرة آية ، حاولت من خلالها الكشف عن المراد من التمني والغرض منه وسوف أستفيض في الحديث عنها فيما بعد .

ثانياً : لو

وقد يتمنى بـــ (لو) قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٧]، فـــ (لو) هنا تفيد التمني بدليل نصب المضارع بـــ(ان) مضمره بعد الفاء المسبوقه بها ، والفرق بين التمني بـــ(لو) والتمني بـــ(ليت) هو ان التمني بـــ(لو) يزداد المتمني منه بعدآ واستحاله وسياق الايه الكريمه يُنبئ بهذا ، فقد وقع هذا التمني بعد رؤيتهم العذاب وتيقنهم وقوعه وهذا مما يزيد شعورهم باليأس واستحالة الرجوع الى الدنيا ويرجع ازدياد التمني بـــ (لو) بعدآ واستحاله إلى طبيعة دلالتها إذ ان (لو) هي حرف امتناع لأمتناع ، يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية "لو : في معنى التمني ولذلك أجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم " وقد جاء التمني

([1]) مفتاح العلوم للسكاكي ص ١٤٧

([2]) دلالات التراكيب للدكتور محمد محمد أبو موسى ص ٢٠٨ ،

([3]) السابق ذاته

بالحرف لو في ثلاث مواضع من القرآن الكريم .

وتخالف لو حروف التمني الأخرى والغرض البلاغي من استعمال (لو) في التمني هو " الإشعار بعزة المتمنى ؛ لأن المتكلم يظهره في صورة الممنوع ، إذ إن (لو) تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط "(١)

ويرى حسن طبل " أن المتمنى بها ليس أمرا واحدا لا يرجى حصوله كما في (ليت) ، بل هو أمران يستحيل حصول أحدهما لاستحالة الآخر " (٢) لذا يرى البلاغيون أن (لو) تزيد المتمنى بعدا .

ثالثاً : لعل

(لَعَلَّ) يكون ما بعدها مرجو الحصول أي مطموع في حصوله، فأشبه المحالات والممكنات التي لا طماعية في وقوعها ، فيتولد منه التمني في أنه طلب محال أو ممكن لا طمع فيه بخلاف الترجي . (٣)

كما في قوله تعالى ﴿ وقال فِرْعَوْنُ ياهامانُ إبْنِ لي صَرْحآ لعلي أبْلُغُ الاسبابَ * اسبابَ السمواتِ فأطلّعَ الى إلهِ موسى وأنّي لأظُنُّهُ كاذبآ ﴾ (غافر:٣٦)، فبلوغ اسباب السموات من الامور المستحيله التي لا يمكن وقوعها وهذا يقتضي استعمال اداة التمني الاصليه...(ليتَ) ، ولكنهُ عدل عنها الى (لعلَ) التي تفيد الترجي لغرض بلاغي وهو ابراز المُتَمَنّى المُحال في صورة الممكن القريب الحصول وذلك لكمال العنايه بهِ وشدة الرغبه في وقوعِهِ . (٤) وليس في القرآن إلا هذا الموضع الذي ورد التمني فيه بالحرف لعل

---

(١) الكشاف للزمخشري ٢٨٣/١

(٢) علم المعاني تأصيل وتقييم صـ ٩٥

(٣) علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» للشيخ أحمد بن مصطفى المراغي صـ٦٢بتصرف

(٤) علم المعاني لعبد العزيز العتيق صـ١١٣

رابعا : هل

وقد يجيء التمني بـــ (هَلْ) والأصل أنها استفهامية، فتخرج عن الاستفهام إلى التمني، وأصلها الاستفهام، حيث يُعْلم أو يَعْلم القائل امتناع ما بعدها (وقد يتمنى بهل نحو هل لي من شفيع حيث يعلم أن لا شفيع له) لأنه حينئذ يمتنع حمله على حقيقة الاستفهام لحصول الجزم بانتفائه ، والنكتة في التمني بهل والعدول عن ليت هي إبراز المتمني لكمال العناية به في صورة الممكن الذى لا جزم بانتفائه . ([1])

وتستعمل (هل) في الموضـــع الذي فيه انتفاء الشيء المتمنى كما في قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [الاعراف: ٥٣] يقول بن جني " قال أبو الفتح: الذي قبله مما هو متعلق به قوله: فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ، ثم قال: "أَوْ نُرَدَّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ" فعطف "نرد" على "يشفعوا" ، وهو منصوب لأنه جواب الاستفهام وفيه معنى التمني؛ وذلك أنهم قد علموا أنه لا شفيع لهم، وإنما يتمنون أن يكون لهم هناك شفعاء، فيردوا بشفاعتهم ، فيعملوا ما كانوا لا يعملونه من الطاعة؛ فيصير به المعنى إلى أنه كأنهم قالوا: إن نُرزق شفعاء يشفعوا لنا أو نُرْدَد، وتقديره مع رفع نرد على قراءة الجماعة: أن نُرزق شفعاء يشفعوا لنا، وإن نردد نعمل غير الذي كنا نعمل. وذلك أنهم مع نصب "نرد" تمنوا الشفعاء وقطعوا بالشفاعة، وتمنوا الرد أيضًا وضَمِنُوا عمل ما لم يكونوا يعملونه؛ أي: إن نُردد نعمل غير الذي كنا نعمل كأنه قال: أو هل نرد فنعمل." ([2]) والاستفهام في قوله: فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ للتمني والتحسر . ([3])

مما سبق يتضح لنا أن التمني بالحرف له أدوات أربع : وهي : ليت ولعل ولو وهل وذكرنا الأداة الأولى وهي ليت :

([1]) مختصر المعاني (مختصر لشرح تلخيص المفتاح لسعد الدين التفتازاني صـــ ١٣٠

([2]) المحتسب لابن جني ٢٥٢/١

([3]) الوسيط للطنطاوي ٢٨٣/٥

وليت : هي الأداة الأصلية للتمني ولا تستعمل إلا في التمني فقط أما الثلاث المتبقية أو الأخرى هي هل ولو و لعل هي فليست أصلية ولها أكثر من استعمال

لأن : هل : للاستفهام و لو : للشرط وهي حرف امتناع لامتناع .

و لعل : للترجي هذا هو أصلها ، لكنها تأتي للتمني وهي أدوات غير أصلية ولا يؤتى بها للتمني إلا لغرض بلاغي .

وإذا كانت هذه الأدوات تأتي للتمني فمعلوم أن التمني يقطع بعدم حصوله .

ولا يمكن أن تأتي هذه الأدوات إلا في شيء يقطع بعدم حصوله لأنه إذا أتى في أمر لا يقطع بحصوله رجعت هذه الأدوات إلى أصلها الحقيقي:

فتكون : هل : للاستفهام ولو : للشرط ولعل : للترجي

ونستطيع أن نفرق بين تلك الأدوات إذا جاءت للتمني وإذا جاءت على حقيقتها ، إذا أتت في أمر يقطع بعدم حصوله فهي للتمني ، إن أتت في أمر يقطع بحصوله فليست من أدوات التمني و تعود إلى أصلها .

هل : كقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [الاعراف: ٥٣]

أتي بـــ (هل) للتمني لإبراز المستفهم عنه وهو المتمنى في الاهتمام بهذا المتمنى المقطوع بعدم حصوله ، والغرض منه إبراز المتمنى لكمال العناية به .

لو : كقوله تعالى : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٢]

الغرض منه : بيان ندرة وعزة المتمنى به فنادر وعزيز أن تكون لهم رجعة

لعل : ﴿ وقال فِرْعَوْنُ ياهامانُ إبْنِ لِي صَرْحآ لعلي أبْلُغُ الاسبابَ ﴾ [غافر: ٣٦]

الغرض منه : استبعاد حصول المرجو أتي به هنا لقصد استبعاد حصول المرجو لأن لعل تأتي للمرجو .

المطلب الخامس

الفرق بين التمني الرجاء

أقرب أدوات التمني غير الأصلية هي (لعل) لأن التمني بها يكون للممكن وغير الممكن فأرى أن أفرق هنا بين التمني وبين الرجاء بناءً على ما سبق ذكره فنقول أن هناك فرق كبير بين ما يرجوه العبد وما يتمناه وقد يقول احدهم لا فرق بين هذا وذاك لكن الرجاء مشحون بمعاني الإيمان والعبودية والإذلال إلى صاحب القرار مع بذل كل مجهود في تحقيق ذلك، والسعي في أسباب الوصول الى الغاية من الرجاء مع تحقيق المطلوب والانصراف عن المكروه ، فترى صاحب الرجاء ظاهره كباطنه متعففا طاهرا صادقا لا تشوبه شائبة ؛ لأنه مقدم على يقين وبصيرة ممن يرجوا منه رجاءه .

أما التمني فسبيل الكسل والعجز مع نفي وجود القوة القادرة على تحقيق ذلك فيأتي التمني بشكل انفرادي وكأن شخصا ينظر في مرآة الى نفسه ويتمنى لو كان أجمل من تلك الصورة التي يراها باسطا ذراعيه للكسل والخمول منتظرا لمعجزة تحدث بعد حين .

والفرق بينه وبين الرجاء :" أنّ التّمنّي يصاحبه الكسل ، ولا يسلك صاحبه طريق الجدّ، والرّجاء على الضّدّ من ذلك.

ومن الوجهة اللّغويّة فإنّ أداة الرّجاء «لعلّ» وأداة التّمنّي «ليت». كما أنّ الرّجاء يفيد إمكان الوقوع بخلاف التّمنّي الّذي يفيد تعذّر الوقوع أو استحالته " (١)

إذن التمني طلب الشيء المحبوب ، وقد يكون ممكنا ، وقد يكون مستحيلا ، فالنفس كثيرا ما تطلب المستحيل ، فإذا كان الشيء المتمنى ممكنا ، فيجب أن لا يكون مما تتوقعه نفسك ؛ لأنك إذا توقعته كان ترجيا .

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٣٥

يقول د/ فضل عباس في كتابه البلاغة فنونها وأفنانها "أن ما استقر عند بعض الناس من أن التمني طلب المستحيل ، والترجي طلب الممكن ؛ خالٍ من الدقة ؛ لأن التمني قد يكون لغير المستحيل هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإن الترجي ليس طلبا ، وإنما هو ترقب حصول الشيء لذلك لم يعدوه من الإنشاء الطلبي .

فإذا قلت .. ليت لي دارا ، فينبغي ألا تكون متوقعًا لما تتمناه ؛ لقلة ذات اليد ، ولكثرة التكاليف وغيرها من الأسباب ، وهذا أمر ممكن غير مستحيل ، لكن صعوبة تحققه تجعلك غير متوقع له .

أما إذا كانت الأسباب مهيأة لك ، وكنت تتوقع الحصول على تكاليف هذه الدار فإنك تستعمل لعل ، فتقول : لعل لي دارا " (١) .

(١) البلاغة فنونها وأفنانها لفضل حسن عباس صـــــ١٥٦

المبحث الثاني

آيات التمني في القرآن الكريم بـ(ليت)

دراسة تحليلية موضوعية

المطلب الأول

تمني المنافقين الفوز والظفر بالغنائم

وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا (٧١) وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧١، ٧٣]

تتصل هذه الآيات بالآيات التي قبلها اتصالا وثيقا حيث إنه لما ذكر طاعة الله وطاعة رسوله أمر أهل الطاعة بالقيام بإحياء دينه وإعلاء دعوته. وأمرهم ألا يقتحموا على عدوهم حتى يتحسسوا إلى ما عندهم ، ويعلموا كيف يردون عليهم، فذلك أثبت لهم فقال «خذوا حذركم» فعلمهم مباشرة الحروب ، ولا ينافي هذا التوكل بل هو عين التوكل . [١]

في هذه الآيات الكريمة نداء من الله عزو جل للمؤمنين حيث صدرت الآية الكريمة بالنداء فقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} والمعنى " يا مَن صَدَّقُوا وأذعنوا لله والرسول ، {خُذُوا حِذْرَكُمْ} : أي خذوا حيطتكم من عدوكم، وكونوا مِنْهُ على حذَر. وتيقظوا له حتى لا يباغتكم بالهجوم عليكم.

ومن الحيطة: استطلاع حال العدو، وتعرُّفُ أسراره وخططه الحربية، ومدى قوته

---

(١) تفسير القرطبي ٥ / ٢٧٣

... ونحو ذلك . [١]

قوله تعالى: {خُذُوا حِذْرَكمْ}، قال الزمخشري: " إن الحِذْرَ والحَذَرَ معناهما واحد، ويقال: أخذ حذره إذا تيقظ واحترس. ومعنى خذوا حِذركم، أي خذوا ما فيه الاحتياط لكم، ودفع كل مخوف عنكم "[٢] وقد ذكر الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده: " أن مِنْ أخذ الحذر تعرف حال البلاد الإسلامية، وتعرف حال بلاد الأعداء، أو من يتوقع منهم الاعتداء، ". وذكر رحمه الله " أنه يدخل في الاستعداد وأخذ الحذر، واتقاء كل مخوف معرفة الأسلحة واستعمالها فإذا كان ذلك يتوقف على معرفة الهندسة والكيمياء والطبيعة وجر الأثقال، فإنه يجب تحصيل ذلك ".([٣])

فعلينا أن نعد العدة بمثل ما يعدون، وقد ابتكروا ما يخرب الديار، فعلينا أن نعمل بهذا الابتكار، فإن الشر لَا يدفع إلا بمثله . والله من ورائهم محيط. ([٤])

وقوله فَانْفِرُوا ثُباتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً تفريع على أخذ الحذر لأنهم إذا أخذوا حذرهم، عرفوا كيف يتخيرون أسلوب القتال المناسب لحال أعدائهم وقوله فَانْفِرُوا من النفر وهو الخروج إلى عمل من الأعمال بسرعة. ومنه قوله- تعالى- ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢] والمراد بقوله فَانْفِرُوا هنا: أي اخرجوا إلى قتال أعدائكم بهمة ونشاط .

ويقال: نفر القوم ينفرون نفرا ونفيرا إذا نهضوا لقتال عدوهم. واستنفر الإمام الناس إذا حضهم على جهاد أعدائهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (وإذا استنفرتم

---

(١) التفسير الوسيط مجمع البحوث الإسلامية ٨٤٧/٢

(٢) تفسير الكشاف ٥٣٢/١

(٣) تفسير المنار ٥ / ٢٥٠

(٤) زهرة التفاسير ١٧٥٧/٤

فانفروا) ([1]) والنفير: اسم للقوم الذين ينفرون. ([2])

وقوله ثُباتٍ جمع ثبة وهي الجماعة والعصبة من الفرسان. مأخوذة من ثبا يثبو أى اجتمع .

والمعنى. عليكم– أيها المؤمنون– أن تكونوا دائما على استعداد للقاء أعدائكم ، ولا تغفلوا عن كيدهم. فإذا ما حان الوقت لقتالهم فاخرجوا إليهم مسرعين جماعة في إثر جماعة أو فاخرجوا إليهم مجتمعين في جيش واحد، فإن قتالكم لأعدائكم أحيانا يتطلب خروجكم فرقة بعد فرقة، وأحيانا يتطلب خروجكم مجتمعين، فاسلكوا في قتالكم لأعدائكم الطريقة المناسبة لدحرهم والتغلب عليهم.

وقوله ثُباتٍ منصوب على الحال من الضمير في قوله انْفِرُوا وكذلك قوله جَمِيعاً أى انفروا متفرقين أو انفروا مجتمعين أي ، ليكن نفوركم على حسب ما تقتضيه طبيعة المعركة. ([3])

ثم كشف– سبحانه– عن فساد نفوس المنافقين وضعاف الإيمان فقال: وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ أي : ليتأخرن وليتثاقلن عن الجهاد. من «بطأ» – بالتشديد– بمعنى أبطأ فهو فعل لازم. وقد يستعمل أبطأ وبطأ– بالتشديد– متعديين، وعليه يكون المفعول هنا محذوف أى : ليبطئن غيره ويثبطه عن الخروج للجهاد في سبيل الله. ([4])

وقد جمع المنافقون وضعاف الإيمان بين الأمرين : فقد كانوا يتخلفون عن الجهاد في سبيل الله وينتحلون المعاذير الكاذبة لتخلفهم، ولا يكتفون بذلك بل يحاولون منع غيرهم عن الخروج للجهاد. ([5])

([1]) سنن ابن ماجه أبواب الجهاد ، باب / الخروج في النفير ٦٦/٤ رقم ٢٧٧٤

([2]) لسان العرب ٢٢٦/٥

([3]) التفسير الوسيط للطنطاوي ٢١٢/٣

([4]) تفسير الآلوسي ٧٩/٣

([5]) التفسير الوسيط للطنطاوي ٢١٥/٣

والتعبير بقوله لَيُبَطِّئَنَّ تعبير في أسمى درجات البلاغة والروعة، لأنه يصور الحركة النفسية للمنافقين وضعاف الإيمان وهم يشدون أنفسهم شدا، ويقدمون رجلا ويؤخرون أخرى عندما يدعوهم داعي الجهاد إلى الخروج من أجل إعلاء كلمة الله.

وقد اشتملت الجملة الكريمة على جملة مؤكدات، للإشعار بأن هؤلاء المنافقين لا يتركون فرصة تمر دون أن يبثوا سمومهم بنشاط وإصرار، وأنهم حريصون كل الحرص على توهين عزائم المجاهدين، وحملهم على أن يكونوا مع القاعدين كما هو شأن المنافقين.

والمراد بقوله مِنْكُمْ: أى من جنسكم وممن يعيشون معكم ويساكنونكم، ويرتبطون معكم برباط القرابة، ويتظاهرون بالإسلام، فلقد كان المنافقون في المدينة تربطهم روابط متعددة بالمؤمنين الصادقين، كما هو معروف في التاريخ الإسلامى .

فمثلا عبد الله بن أبى بن سلول– زعيم المنافقين– كان أحد أبنائه من المؤمنين الصادقين . ([1])

والتعبير بـــ " منكم " يحتاج إلى توفيق بين هذا وقوله تعالى في شأن المنافقين : (مَّا هُم منكُمْ وَلا مِنْهُمْ)، والتوفيق أن يقال هنا إن المراد بقوله منكم ، أي من أهلكم وعشيرتكم وتربطكم بهم رحم، فكل منافق كان في قرابته من هو صادق الإيمان، مجاهد في الله حق جهاده. ويزكي هذا قوله تعالى في الآية الآتية : ﴿كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ ([2])

وقد وجه القرآن الخطاب إلى المؤمنين لكي يكشف لهم عن المنافقين المندسين في صفوفهم لكي يحذروهم، قال صاحب الكشاف: واللام في قوله لَمَنْ للابتداء بمنزلتها في قوله إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وفي لَيُبَطِّئَنَّ جواب قسم محذوف تقديره : وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن وجوابه صلة من والضمير الراجع منها يعود إلى ما استكن في لَيُبَطِّئَنَّ.

([1]) التفسير الوسيط ٢١٢/٣

([2]) زهرة التفاسير ١٧٥٨/٤ ، تفسير الرازي ١٤٣/١٠ بتصرف

والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم» ([1])

والفاء في الشرطية في قوله فإن أصابتكم لترتيب مضمونها على ما قبلها فإن ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما أن نفس التبطئة مستدعية لشيء ينتظر المبطئ وقوعه ([2])

و(المصيبة) اسم لما أصاب الإنسان من شر، والمراد هنا مصيبة الحرب أعني الهزيمة من قتل وأسر.

ومعنى أنعم الله علي الإنعام بالسلامة : فإن كان من المنافقين فوصف ذلك بالنعمة ظاهر لأن القتل عندهم مصيبة محضة إذ لا يرجون منه ثوابا وإن كان من ضعفة المؤمنين فهو قد عد نعمة البقاء أولى من نعمة فضل الشهادة لشدة الجبن، وهذا من تغليب الداعي الجبلي على الداعي الشرعي . ([3])

فالآية الكريمة تحكى عن المنافقين أنهم يعتبرون قعودهم عن الجهاد نعمة، إذا ما أصاب المؤمنين مصيبة عند قتالهم لأعدائهم.

أما إذا كانت الدولة للمؤمنين، وظفروا بالغنائم، فهنا يتمنى المنافقون أن لو كانوا معهم لينالوا بعض هذه الغنائم. واستمع إلى القرآن وهو يحكى عنهم ذلك فيقول ﴿ وَلَئِنْ أَصابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ- كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ- يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ ([4])

أى: وَلَئِنْ أَصابَكُمْ يا معشر المؤمنين فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ كفتح وغنيمة ونصر وظفر لَيَقُولَنَّ هذا المنافق على سبيل الندامة والحسرة والتهالك على حطام الدنيا، حالة كونه

([1]) التفسير الوسيط ٢١٢/٣ والكشاف

([2]) تفسير أبي السعود ٢٠٠/٢تفسير الآلوسي ٧٨/٣

([3]) التحرير والتنوير ١١٩/٥

([4]) التفسير الوسيط للطنطاوي ٢١٥/٣

كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ليقولن: يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ عند ما خرجوا للجهاد فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً بأن أحصل كما حصلوا على الغنائم الكثيرة.

وهذا– كما يقول ابن جرير– خبر من الله– تعالى– ذكره عن هؤلاء المنافقين، أن شهودهم الحرب مع المسلمين– إن شهدوها– إنما هو لطلب الغنيمة وإن تخلفوا عنها فللشك الذي في قلوبهم، وأنهم لا يرجون لحضورها ثوابا، ولا يخافون بالتخلف عنها من الله عقابا ([1])

وتقديم جملة الشرطية الأولى على الثانية لما أن مضمونها لمقصدهم أوفق، وأثر نفاقهم فيها أظهر. ([2])

وفي نسبة الفضل إلى الله في قوله وَلَئِنْ أَصابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ دون إصابة المصيبة تعليم لحسن الأدب مع الله– تعالى– وإن كان سبحانه– هو الخالق لكل شيء، فهو الذي يمنح الفضل لمن يشاء وهو الذي يمنعه عمن يشاء. ([3])

والتعبير بقوله: ﴿ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ ﴾ فإن التعبير بإصابة الخير مع أنهم نالوه، للإشارة إلى أن ذلك إرادة الله تعالى. فإن أصابكم ما يؤلمكم فبإرادته، وإن نلتم من خير فبإرادته وبتفضله. ([4])

وأكد قوله:

ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن، باللام الموطئة للقسم وبلام جواب القسم وبنون التوكيد، تنبيها على غريب حالته حتى يتزل سامعها متزلة المنكر لوقوع ذلك منه. والمراد من الفضل الفتح والغنيمة. ([5])

([1]) تفسير ابن جرير ٥ / ١٦٦ .

([2]) تفسير حدائق الروح والريحان ٢٠٣/٦

([3]) تفسير حدائق الروح والريحان ٢٠٣/٦

([4]) زهرة التفاسير ١٦٥٩/٤

([5]) التحرير والتنوير ١١٩/٥

وقوله : كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ جملة معترضة بين فعل القول الذي هو لَيَقُولَنَّ وبين المقول الذي هو يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ.

وقد جيء بها على سبيل التهكم والسخرية والتعجب من حال المنافقين، لأنهم كان في إمكانهم أن يخرجوا مع المؤمنين للقتال، وأن ينالوا نصيبهم من الغنائم التي حصل عليها المؤمنون، ولكنهم لم يخرجوا لسوء نواياهم، فلما أظهروا التحسر لعدم الخروج بعد أن رأوا الغنائم في أيدى المؤمنين كان تحسرهم في غير موضعه لأن الذي يتحسر على فوات شيء عادة هو من لا علم له به أو بأسبابه، أما المنافقون فبسبب مخالطتهم وصحبتهم للمؤمنين كانوا على علم بقتال المؤمنين لأعدائهم، وكان في إمكانهم أن يخرجوا معهم. (١)

فكأن الله تعالى يقول للمؤمنين : انظروا وتعجبوا من شأن هؤلاء المنافقين إنهم عند ما أصابتكم مصيبه فرحوا، وعند ما انتصرتم وأصبتم الغنائم تحسروا وتمنوا أن لو كانوا معكم حتى لكأنهم لا علم لهم بالقتال الذي دار بينكم وبين أعدائكم، وحتى لكأنهم لا مخالطة ولا صحبة بينكم وبينهم مع أن علمهم بالقتال حاصل، ومخالطتهم لكم حاصلة فلم يتحسرون؟

إن قولهم: يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً ليدعو إلى التعجب من أحوالهم، والتحقير لسلوكهم ، والدعوة عليهم بأن يزدادوا حسرة على حسرتهم . (٢) ويقول الإمام ابن عطية معلقا على هذه الفقرة من الآية : " يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً، متمنيا شيئا قد كان عاهد أن يفعله ثم غدر في عهده، لأن المؤمن إنما يتمنى مثل هذا إذا كان المانع له من الحضور عذرا واضحا، وأمرا لا قدرة له معه، فهو يتأسف بعد ذلك على فوات الخير، والمنافق يعاطي المؤمنين المودة، ويعاهد على التزام كلف الإسلام،

---

(١) التحرير والتنوير ١٢٠/٥، تفسير ابن عطية ٧٧/٢، زهرة التفاسير ١٦٥٩/٤

(٢) التفسير الوسيط ١١٧/٣

ثم يتخلف نفاقا وشكا وكفرا بالله ورسوله ، ثم يتمنى عند ما يكشف الغيب الظفر للمؤمنين " ([1])

وتؤكد الآية حالة هذا المتمني ، وحرصه الشديد ومثابرته على هذه الغنيمة بالمصدر "فوزا" وبالوصف "عظيما" وتمنيه الظفر بالغنيمة بعد حصول الغانمين لها ، دليل على أنه ممن يشرون الحياة الدنيا بالآخرة وممن يريدون ان يحصلوا على الخير بدون وجه حق مما يدل على ضعف عقله ؛ وهذا الضعف سببه وجود تصورات فاسدة كانت قائمة في نفسه أدت به إلى هذا التمني .

وبذلك نرى أن الآيات الكريمة قد أمرت المؤمنين بحسن الاستعداد للقاء أعدائهم في كل وقت، وكشفت لهم عن رذائل المنافقين الذين إذا أصابت المؤمنين مصيبة فرحوا لها، وإذا أصابهم فضل من الله تحسروا وحزنوا، وفي هذا الكشف فضيحة للمنافقين، وتحذير للمؤمنين من شرورهم. ([2])

والآية الكريمة كذلك تبرز لنا وجها من أوجه إعجاز القرآن الكريم إذ أنها أخبرت عن أمر مستقبلي لم يحدث بعد ، وهو قوله (ليقولن) الدالة على الاستقبال والتجدد فهم يفاجؤون بالآية قبل أن ينووا القيام بها .

وهذا إعجاز نفسي علاوة على الإعجاز البياني الذي تحدى الله به الأولين والآخرين في معرفة أدق ما في النفوس الإنسانية من أمور حريصة على كتمانها .

([1]) تفسير ابن عطية ٢/٧٧

([2]) التفسير الوسيط ٣/٢١٥

المطلب الثاني

تمني الكفار الرجوع إلى الدنيا يوم القيامة

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الانعام: ٢٧، ٢٨] .

ترتبط هذه الآية بالآية التي قبلها ارتباطا وثيقا حيث " بين الله في الآية السابقة حال طائفة من المشركين تلقى السمع مصغية للقرآن لكن لا يدخل القلب شيء مما تسمع، لما عليه من أكنة التقليد، والاستنكار لكل شيء جديد، فهم يستمعون ولا يسمعون وبين في هاتين الآيتين بعض ما يكون من أمرهم يوم القيامة وتمنيهم العودة إلى الدنيا ليعملوا صالح العمل ويكونوا من المؤمنين حقا ثم كذبهم فيما يقولون وأنهم لو ردوا لعادوا لما كانوا فيه لفقد استعدادهم للإيمان، وأن حالهم بلغ مبلغا لا يؤثّر فيه كشف الغطاء ورؤية الفزع والأهوال." (١)

والمخاطب في الآية الكريمة فيه قولان ، القول الأول: أنه النبي وسبب ذلك كما يقول الطاهر بن عاشور " أن في الخبر الواقع بعده تسلية له عما تضمنه قوله: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الانعام: ٢٦] فإنه ابتدأ فعقبه بقوله: وإن يهلكون إلا أنفسهم [الأنعام: ٢٦] ثم أردفه بتمثيل حالهم يوم القيامة. ويشترك مع الرسول في هذا الخطاب كل من يسمع هذا الخبر." (٢)

وذكر الآلوسي قولا آخر: وهو أن الخطاب لكل من يتأتى منه الخطاب وله أهلية ذلك قصدا إلى بيان سوء حالهم وبلوغها من الشناعة إلى حيث لا يختص بها راء دون راء. (٣)

---

(١) تفسير المراغي ١٠٠/٧

(٢) التحرير والتنوير ١٨٤/٧

(٣) تفسير الآلوسي ١٢١/٤

وأقول : ولعل القول الأول هو الصحيح لمجيء هذه الآية في أثناء الحديث عن بعض أفعال الكافرين تجاه النبي ، إذاً السياق والسباق يشهدان للقول الأول ، والقول الثاني له وجاهته أيضا ؛ لأن الخطاب للنبي هو خطاب لأمته .

وقوله (ولو ترى)(لو)شرطية والجواب محذوف تفخيما للأمر، وتعظيما للشأن، وجاز حذفه لعلم المخاطب به. وأشباهه كثيرة في القرآن والشعر. ولو قدرت الجواب . كان التقدير:

لرأيت سوء منقلبهم. وحذف الجواب في ذلك أبلغ في المعنى من إظهاره. ألا ترى أنك لو قلت لغلامك: والله! لئن قمت إليك. وسكت عن الجواب، ذهب بفكره إلى أنواع المكروه من الضرب والقتل والكسر، وعظم الخوف، ولم يدر أيّ الأقسام تبغي.

ولو قلت: لأضربنك، فأتيت بالجواب لأمن غير الضرب، ولم يخطر بباله نوع من المكروه سواه. فثبت أن حذف الجواب أقوى تأثيرا في حصول الخوف– أفاده الرازيّ– وملخصه: أن حذف الجواب ثقة بظهوره، وإيذانا بقصور العبارة عن تفصيله ، "فثبت أن حذف الجواب أقوى تأثيرا في حصول الخوف. ومنهم من قال جواب لو مذكور من بعض الوجوه والتقدير ولو ترى إذا وقفوا على النار ينوحون ويقولون يا ليتنا نرد ولا نكذب." والقول الأول أرجح . ومفعول ترى محذوف دل عليه ضمير وقفوا، أي لو تراهم . ([1])

وإنما عبر بقوله (إذ) دون (إذا) " التي تدل على الماضي– مع أن الحديث عما سيحصل لهم في الآخرة فكان يناسبه إذا– لإفادة تحقق الوقوع وتأكده ، وليتصور المستقبل على أنه موجود لا على أنه سيوجد" ([2])

([1]) تفسير القاسمي ٣٣٨/٤ ، تفسير الرازي ٥٠٨/١٢ ، زهرة التفاسير ٥/ ٢٤٧٥.إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش ٩١/٣ ، التحرير والتنوير ١٤٨/٧

([2]) تفسير الوسيط الطنطاوي ٦١/٥

ويذكر الإمام الرازي أن (إذ) قد تأتي بمعنى إذا " إذا أراد المتكلم المبالغة في التكرير والتوكيد، وإزالة الشبهة لأن الماضي قد وقع واستقر، فالتعبير عن المستقبل باللفظ الموضوع للماضي، يفيد المبالغة من هذا الاعتبار." ([1])

وآثر التعبير بالماضي في قوله (وقفوا) للتنبيه على تحقيق وقوعه لصدوره عمن لا خلاف في خبره ، فهو ماض لفظا والمعنى به الاستقبال، أي إذ يوقفون. ([2])

ومعنى قوله تعالى (وقفوا) ذكر الزجاج في معناها ثلاثة أوجه " الأول: يجوز أن يكون قد وقفوا عندها وهم يعاينونها فهم موقوفون على أن يدخلوا النار. والثاني: يجوز أن يكونوا وقفوا عليها وهي تحتهم، بمعنى أنهم وقفوا فوق النار على الصراط، وهو جسر فوق جهنم. والثالث: معناه عرفوا حقيقتها تعريفا من قولك وقفت فلانا على كلام فلان أي علمته معناه وعرفته. وفيه وجه رابع: وهم أنهم يكونون في جوف النار، وتكون النار محيطة بهم، ويكونون غائصين فيها وعلى هذا التقدير فقد أقيم (على) مقام (في) وإنما صح على هذا التقدير، أن يقال:

وقفوا على النار، لأن النار دركات وطبقات، بعضها فوق بعض فيصح هناك معنى الاستعلاء. " ([3])

وبناءً على ما سبق يكون التعبير ب(على) في الآية من قبيل المجاز وهذا ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور حيث قال " والاستعلاء المستفاد ب على مجازي معناه قوة الاتصال بالمكان، فلا تدل (على) على أن وقوفهم على النار كان من أعلى النار. وقد قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ ﴾ [الانعام: ٣٠] ، وأصله من قول العرب: وقفت راحلتي على زيد، أي بلغت إليه

([1]) تفسير الرازي ٥٠٨/١٢

([2]) التحرير والتنوير ١٤٨/٧

([3]) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٣٩/٢، تفسير الرازي ٥٠٨/١٢

فحبست ناقتي عن السير." ([1])

ومعنى هذه الفقرة من الآية كما يقول الشيخ المراغي " (وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ) أي ولو ترى أيها السامع ما يحل بأولئك المكذبين من الفزع والهول حين تقفهم ملائكة العذاب على النار مشرفين عليها من أرض الموقف، وندمهم على كفرهم وحسرتهم على ما فرط منهم فى جنب الله وتمنيهم ما لا سبيل للحصول عليه– لرأيت ما لا يحيط به الوصف ولا يقدر على التعبير عنه اللسان، ولا يبلغ تصويره البيان، ولو أوتى المتكلم بلاغة سحبان(٢) . "([3])

وإنما عطف بالفاء في قوله (فقالوا) دون غيرها من حروف العطف للدلالة " على أن أول شيء يقع في قلوبهم حينئذ إنما هو الندم على ما سلف منهم، وتمنى الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا." ([4])

والفائدة من النداء في قولهم: "يا ليتنا نرد مستعمل في التحسر، لأن النداء يقتضي بعد المنادى، فاستعمل في التحسر لأن المتمنى صار بعيدا عنهم، أي غير مفيد لهم، كقوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٦] ، فكأنه يقول: (يا ليت) أقبلي فهذا وقتك الذي نستغيث بك فيه ؛ إذ لَا نملك إلا التمني فهو أداتنا الوحيدة، وإن كانت أداة العاجزين." ([5])

وهل التمني في الآية الكريمة قاصر على شيء واحد وهو رجوعهم للدنيا فقط ، أم أن التمني في الآية يشمل رجوعهم للدنيا وعدم تكذيبهم بآيات الله وإيمانهم بالله ؟

([1]) التحرير والتنوير ١٨٤/٧ ، زهرة التفاسير ٥/ ٢٤٧٥.

(٢) وسَحْبانُ: اسْمُ رَجُلٍ مِنْ وائِلٍ، كَانَ لَسِناً بَلِيغاً، يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي البَيانِ والفَصَاحةِ، فَيُقَالُ: أَفْصَحُ مِنْ سَحْبانِ وائِلٍ. لسان العرب لابن منظور ٤٦١/١

(٣) تفسير المراغي ١٠١/٧

(٤) تفسير الوسيط الطنطاوي ٦١/٥

([5]) التحرير والتنوير ١٨٤/٧، زهرة التفاسير ٥/ ٢٤٧٥.

وقد تعرض الإمام الرازي لهذه المسألة فذكر القولين معاً وهذا نص ما قاله " قوله يا ليتنا نرد يدل على أنهم قد تمنوا أن يردوا إلى الدنيا. فأما قوله ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ففيه قولان: أحدهما: أنه داخل في التمني والتقدير أنهم تمنوا أن يردوا إلى الدنيا ولا يكونوا مكذبين وأن يكونوا مؤمنين.

فإن قالوا هذا باطل لأنه تعالى حكم عليهم بكونهم كاذبين بقوله في آخر الآية وإنهم لكاذبون والمتمني لا يوصف بكونه كاذبا.

قلنا: لا نسلم أن المتمني لا يوصف بكونه كاذبا لأن من أظهر التمني، فقد أخبر ضمنا كونه مريدا لذلك الشيء فلم يبعد تكذيبه فيه، ومثاله أن يقول الرجل: ليت الله يرزقني مالا فأحسن إليك، فهذا تمن في حكم الوعد، فلو رزق مالا ولم يحسن إلى صاحبه لقيل إنه كذب في وعده.

القول الثاني: أن التمني تم عند قوله يا ليتنا نرد وأما قوله ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين فهذا الكلام مبتدأ وقوله تعالى في آخر الآية وإنهم لكاذبون عائد إليه وتقدير الكلام يا ليتنا نرد، ثم قالوا ولو رددنا لم نكذب بالدين وكنا من المؤمنين، ثم إنه تعالى كذبهم وبين أنهم لو ردوا لكذبوا ولأعرضوا عن الإيمان. " (١)

" فإن قيل: كيف يحسن منهم تمني الرد مع أنهم يعلمون أن الرد لا يحصل البتة.

والجواب من وجوه: الأول: لعلهم لم يعلموا أن الرد لا يحصل. والثاني: أنهم وإن علموا أن ذلك لا يحصل إلا أن هذا العلم لا يمنع من حصول إرادة الرد كقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٧] فلما صح أن يريدوا هذه الأشياء مع العلم بأنها لا تحصل، فبأن يتمنوه أقرب ، لأن باب التمني أوسع، لأنه يصح أن يتمنى ما لا يصح أن يريد من الأمور الثلاثة

---

(١) تفسير الرازي ٥٠٨/١٢

الماضية." (١)

والمقصود بالآيات في قوله (بآيات ربنا) هي آيات القرآن الكريم ، كما كانوا يكذبوا من قبل ويقولوا : أساطير الأولين. وفسر بعضهم الآيات بما يشمل ذلك والمعجزات ، يقول الإمام أبو السعود رحمه الله " وَلاَ نُكَذّبَ بآيات رَبّنَا أي بآياته الناطقةِ بأحوال النار وأهوالها الآمرةِ باتقائها إذ هي التي تخطُر حينئذ ببالهم ويتحسرون على ما فرّطوا في حقها أو بجميع آياته المنتظمةِ لتلك الآياتِ انتظاماً أولياً وَنَكُونَ مِنَ المؤمنين بهَا العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقفَ الهائلَ أو نكونَ من فريق المؤمنين الناجين من العذاب الفائزين بحُسن المآب " (٢)

ويعلق الشيخ المراغي رحمه الله على هذه الفقرة من الآية فيقول " {فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} أي يقول هؤلاء المشركون بربهم إذا حبسوا على النار: ليتنا نرد إلى الدنيا حتى نتوب ونعمل صالحا ولا نكذب بآيات الله وحججه التي نصبها دلالة على وحدانيته وصدق رسله، بل نكون من المصدقين به وبرسله ومن المتبعين لأمره ونهيه. " (٣)

وصفوة القول : إنهم حين عاينوا الشدائد والأهوال بسبب تقصيرهم تمنّوا الردّ إلى الدنيا ليسعوا في إزالة ذلك التقصير ويتركوا التّكذيب بالآيات ويعملوا صالح العمل .

وتمنى هذا الرد إلى الدنيا بناء على جهلهم بأنه محال ، أو أنهم مع علمهم باستحالته لا مانع من تمنيه على سبيل التحسر، لأنه يصح أن يتمنى ما لا يكون. (٤)

ثم بين أن هذا التمني لم يكن لتغير حالهم، بل لأنه بدا لهم ما كان خفيا عنهم فقال:

---

(١) تفسير الرازي ٥٠٩/١٢

(٢) تفسير أبي السعود ١٢٣/٣

(٣) تفسير المراغي ١٠١/٧

(٤) تفسير المراغي ١٠١/٧

﴿ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الانعام: ٢٨] أي بدا لهم سوء عاقبة ما كانوا يخفونه من الكفر والسيئات ونزل بهم عقابه فتبرموا وتضجروا وتمنّوا الخلاص منه بالرد إلى الدنيا وترك ما أفضى إليه من التكذيب بالآيات وعدم الإيمان، كما يتمنى الموت من أهكه المرض وأضناه الداء العضال لأنه ينقذه من الآلام لا لأنه محبوب فى نفسه ولا مرجوّ لذاته. (١)

و(بل) هنا للإضراب، والرد على ما يتمنونه، والغاية التي يريدونها(٢)

والمعنى: ليس الأمر كما يوهمه كلامهم في التمني من أنهم يريدون العودة للهداية ، بل الحق أنهم تمنوا العودة إلى الدنيا بعد أن استقبلتهم النار بلهبها، وبعد أن ظهر لهم ما كانوا يخفونه في الدنيا من أعمال قبيحة. (٣)

فإن قيل ما الذي بدا لهم وما الذي كانوا يخفونه من قبل ؟

اختلف المفسرون على آراء كلها محتملة ، وذكر هذه الآراء الإمام الرازي في تفسيره وهي تنتهي إلى رأيين :

" أولهما – ما كانوا يخفونه في طوايا نفوسهم وأعمالهم في الدنيا قد بدا عيانا لهم، وأحسوا فيه بقبح ما فعلوا، فبدا لهم ما كانوا يخفون من مفاسد، وبدا أن كفرهم ليس لنقص في الاستدلال، ولكن لعناد، ولإعراض بدا لهم ما كانوا عليه من عنجهية جاهلية، وأنها جوفاء في الآخرة، وأنها التي دفعتهم إلى الكفر، وليس نقص الدليل، وبدا لهم أن إعراضهم عن الآيات لم يكن لنقصها، ولكن لنقص في نفوسهم وإذعانهم.

التأويل الثاني – أن الذي بدا لهم هو عذاب الآخرة، وهولها، وشدائدها، وقد كانوا ينكرونها، فظهر ما كانوا يجحدون، ولكن كيف يكون ذلك قد أخفوه، وهل

---

(١) السابق ذاته

(٢) زهرة التفاسير ٥ / ٢٤٧٦

(٣) التفسير الوسيط للطنطاوي ٥/٦٢

الإنكار المعلن إخفاء؟ والجواب عن ذلك أن الفطرة الإنسانية توجب التصديق إذا قام الدليل، وأن المعاندة حيث قام الدليل إخفاء لما يقتضيه. وقد قال تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ}. فجحودهم كان إخفاء لموجبات الإيمان، وأن شهوة السلطان والعصبية، وغلبة الدنيا والفساد عليهم جعل الحق يختفي عليهم، ويخفونه هم بالمعاندة والمكابرة، والمماراة، فلما كانت الآخرة، وكانت القيامة بأهوالها بدا ما كان مختفيا، وأخفت الأهواء والمعابث، وظهرت الحقائق وأحسب أن المعنيين مستقيمان، ولا مانع من جمعهما، فالنص يعمهما. ([1])

{وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ} من الكفر والنفاق والكيد والمكر والمعاصي فإن ذلك من أنفسهم، ثابت فيها لخبث طينتهم وسوء استعدادهم ، ومن ثم لا ينفعهم مشاهدة ما شاهدوا ولا سوء ما رأوا. ([2])

ولقد أكد الله سبحانه كذبهم في أمنياتهم ونتائج تمنياتهم فقال: {وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} والكذب هنا خاص بما يمكن أن يقع منهم، وما أرادوا في تمنيهم الأماني، فتمنياتهم كاذبة لَا يمكن أن تحقق، ولو عادوا لكان منهم ما وقع أولا؛ إذ إنهم يعودون بما كانوا يحملون من ركائز في نفوسهم، فالتكذيب لما يكون منهم في المستقبل، وقد أكد سبحانه تكذيبهم بـــ " أن " وبالجملة الاسمية، وباللام المؤكدة. ([3])

وقوله: وإنهم لكاذبون تذييل لما قبله . جيء بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبات، أي أن الكذب سجية لهم قد تطبعوا عليها من الدنيا فلا عجب أن يتمنوا الرجوع ليؤمنوا فلو رجعوا لعادوا لما كانوا عليه فإن الكذب سجيتهم. وقد تضمن تمنيهم وعدا، فلذلك صح إدخاله في حكم كذبهم دخول الخاص في العام، لأن التذييل

([1]) تفسير الرازي ٥٠٩/١٢

([2]) التفسير الوسيط للطنطاوي ٦١/٥

([3]))زهرة التفاسير ٥ / ٢٤٧٧

يؤذن بشمول ما ذيل به وزيادة.

فليس وصفهم بالكذب بعائد إلى التمني بل إلى ما تضمنه من الوعد بالإيمان وعدم التكذيب بآيات الله . ([1])

فالآية الكريمة تصور ما طبع عليه هؤلاء الجاحدون من فجور وعناد وافتراء، لأنهم حتى لو أجيبوا إلى طلبهم- على سبيل الفرض والتقدير- لما تخلوا عن كفرهم ومحاربتهم للأنبياء وللمصلحين. ([2])

والخلاصة- إنه تعالى بين لنا أن تمني أولئك الكفار لما تمنّوا لا يدل على تبدل حقيقتهم، بل بدا لهم ما كان خافيا عليهم من أحوالهم بإخفائهم إياه على الناس أو عليهم ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الزمر: ٤٨] فتمنوا الخروج مما حاق بهم، ولكن الحقيقة لا تتغير، وإنما يكون للنفوس أطوار وأحوال. ([3])

([1]) التحرير والتنوير ١٨٦/٧

([2]) الوسيط للطنطاوي ٦٢/٥

([3]) تفسير المراغي ١٠٢/٧

المطلب الثالث

تمني عدم الشرك بالله

وفي ذلك يقول الله عز وجل ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٢]

جاءت هذه الآية الكريمة في أثناء الحديث عن مثل ضربه الله عز وجل لرجلين أحدهما مؤمن بالله والآخر مشرك به حيث خاطب الله عز وجل نبيه فقال له : " بيِّن – أيها الرسول – فى شأن الكفار الأغنياء مع المؤمنين الفقراء مثلا وقع فيما سلف بين رجلين: كافر ومؤمن، وللكافر حديقتان من أعناب، وأحطناهما بالنخيل زينة وفائدة، وجعلنا بين الجنتين زرعا نضِراً مثمراً.

وقد أثمرت كل واحدة من الجنتين ثمرها ناضجاً موفوراً، ولم تنقص منه شيئاً، وفجَّرنا نهراً ينساب خلالهما.

وكان لصاحب الجنتين أموال أخرى مثمرة، فداخله الزهو بتلك النعم، فقال لصاحبه المؤمن فى غرور وهما يتناقشان: أنا أكثر منك مالا وأقوى عشيرة ونصيرا.

ثم دخل إحدى جنتيه مع صاحبه المؤمن، وهو مأخوذ بغروره فقال: ما أظن أن تفنى هذه الجنة أبدا! .

وما أظن القيامة حاصلة، ولو فرض ورجعت إلى ربى بالبعث كما تزعم، والله لأجدن خيراً من هذه الجنة عاقبة لى؛ لأننى أهل للنعيم فى كل حال، فهو يقيس الغائب على الحاضر، ولا يعلم أن الغائب فيه الجزاء على الإيمان وفعل الخير.

قال صاحبه المؤمن مجيباً له: أتسوغ لنفسك أن تكفر بربك الذى خلق أصلك آدم من تراب، ثم من نطفة مائية، ثم صوّرك رجلا كاملا، فإن اعتززت بمالك وعشيرتك، فاذكر ربك وأصلك الذى هو من الطين ، لكن أقول: إن الذى خلقنى وخلق هذا العالم

كله هو الله ربى، وأنا أعبده – وحده – ولا أشرك معه أحدا.

ولولا قلت عند دخولك جنتك والنظر إلى ما فيها : هذا ما شاء الله ولا قوة لى على تحصيله إلا بمعونة الله، فيكون ذلك شكراً كفيلا بدوام نعمتك. ثم قال له: إن كنت ترانى أقل منك مالا وأقل ولدا ونصيرا.

فلعل ربى يعطينى خيراً من جنتك في الدنيا أو الآخرة، ويرسل على جنتك قدَراً قدَّره لها كصواعق من السماء، فتصير أرضاً ملساء لا ينبت فيها شئ ، ولا يثبت عليها قدم.

أو يصير ماؤها غائراً في الأرض لا يمكن الوصول إليه، فلا تقدر على إخراجه لسقيها.

وقد عاجل الله الكافر، وأحاطت المهلكات بثمار جنته، وأهلكتها، وأبادت أصولها، فأصبح يقلب كفيه ندماً وتحسراً على ما أنفق فى عمارتها، ثم عاجلها الخراب، فتمنى أن لم يكن أشرك بربه أحدا.

عند هذه المحنة لم تكن له عشيرة تنصره من دون الله كما كان يعتز، وما كان هو بقادر على نصرة نفسه.

فإن النصرة فى كل حال ثابتة لله الحق – وحده – وهو – سبحانه – خير لعبده المؤمن يجزل له الثواب ويحسن له العاقبة. ([1])

وقوله تعالى ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ الواو عاطفة والمعطوف عليه محذوف تقديره فوقع ما توقعه المؤمن فهلكت جنته بالصواعق وغور الماء([2])وحذف لدلالة السباق والسياق عليه ([3])

([1]) المنتخب في التفسير ٤٣٠/١

([2]) فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي ٥٦/٨

([3]) تفسير الآلوسي ٢٨٢/١٥

والإحاطة معناها الإهلاك حيث لم يبق له فيها ثمرة.

قال الزمخشريّ: (أحيط به) عبارة عن إهلاكه. وأصله من (من أحاط به العدو) لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه. ثم استعمل في كل إهلاك ومنه قوله تعالى إِلَّا أَنْ يُحاطَ بِكُمْ [يوسف: ٦٦] .

ومثله قولهم : (أتى عليه) إذا أهلكه . من (أتى عليهم العدو) إذا جاءهم مستعليا عليهم. يعني إنه استعارة تمثيلية . شبه إهلاك جنتيه بما فيهما ، بإهلاك قوم بجيش عدو أحاط بهم وأوقع بهم بحيث لم ينج أحد منهم . كما أن (أتى عليهم) بمعنى أهلكهم، استعارة أيضا، من إتيان عدو غالب مستعل عليهم بالقهر . ([1])والإحاطة كناية عن عموم العذاب والفساد .

والمعنى: فحدث ما توقعه الرجل الصالح من إرسال الحسبان على بستان صاحبه الجاحد المغرور «وأحيط بثمره» بأن هلكت أمواله وثماره كلها. ([2])

وجاء الفعل «أحيط» مبنيا للمجهول، للإشعار بأن فاعله متيقن وهو العذاب الذي أرسله الله– تعالى– أى : وأحاط العذاب بجنته. ([3])

وإنما آثر التعبير بقوله ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾ ولم يقُلْ : أحيط بزرعه أو بنخله؛ لأن الإحاطة قد تكون بالشيء، ثم يثمر بعد ذلك، لكن الإحاطة هنا جاءت على الثمر ذاته، وهو قريب الجنْي قريب التناول، وبذلك تكون الفاجعة فيه أشدَّ ، والثمر هو الغاية والمحصّلة النهائية للزرع. ([4])

([1]) تفسير القاسمي ٣٦/٧ ، تفسير الكشاف للزمخشري ٢/ ٦٧٦

([2]) التفسير الوسيط للطنطاوي ٨/ ٥٢١

([3]) السراج المنير للخطيب الشربيني ٢/ ٣٧٨ التفسير الوسيط للطنطاوي ٨/ ٥٢١

([4]) تفسير الشعراوي ١٤/ ٨٩١٩

والظاهر أن ذلك كان ليلًا لقوله سبحانه : ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا ﴾ هذا إذا لم تكن أصبح بمعنى صار، فإن كانت كذلك فلا تشير الآية إلى زمن الهلاك حينئذ. (١)

والفاء في قوله فأصبح يقلب كفيه فاء السببية والعطف المفيد للترتيب والتعقيب . (٢)

قال الخفاجي : إن الآية تدل على وقوع ائتصال نباتها وأشجارها عاجلا بآفة سماوية صريحا لقوله تعالى فأصبح بالفاء التعقيدية والتحسر إنما يكون لما وقع بغتة . (٣)

وتقليب كفيه ظاهره أنه يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو أنه يبدي باطن كفه ثم يعوج كفه حتى يبدو ظهرها، وهي فعلة النادم المتحسر على شيء قد فاته، المتأسف على فقدانه، كما يكنى بقبض الكف والسقوط في اليد. وقيل: يصفق بيده على الأخرى ويقلب كفيه ظهر البطن. وقيل: يضع باطن إحداهما على ظهر الأخرى . (٤)

وتقليب الكفين، وعض الكف، والأنامل، واليدين، وأكل البنان، وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن الندم والحسرة ؛ لأنها من روادفها فتطلق الرّادفة على المردوف، فيرتقي الكلام به إلى الذروة العليا، ويزيد الحسن بقبول السامع. (٥)

وأيّا ما كان ففعله هذا كناية عن الحسرة الشديدة، والندم العظيم. (٦)

---

(١) تفسير البحر المحيط ١٨١/٧ تفسير الآلوسي ٢٨٢/١٥

(٢) زهرة التفاسير ٩/ ٤٥٣٤

(٣) حاشية الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي ١٠٢/٦

(٤) تفسير البحر المحيط ١٨١/٧

(٥) روح البيان لإسماعيل حقي ٥/ ٢٤٨

(٦) التفسير الوسيط للطنطاوي ٨/ ٥٢١

ولما كان هذا الفعل كناية عن الندم عداه تعدية فعل الندم فقال على ما أنفق فيها كأنه قال: فأصبح نادما على ذهاب ما أنفق في عمارة تلك الجنة وهي خاوية على عروشها ([1])

والضمير في قوله تعالى وَهِيَ ، يعود إلى الجنة من الأعناب المحفوفة بنخل . ([2])

خاوية أي ساقطة وأصل الخواء كما قيل الخلاء يقال خوى بطنه من الطعام يخوي خوي وخواء إذا دخل ، وفي القاموس خوت الدار تهدمت وخوت وخويت خيا وخويا وخواء وخواية خلت من أهلها : وأريد السقوط هنا لتعلق قوله تعالى على عروشها بذلك والعروش جمع عرش وهو هنا ما يصنع من الأعمدة لتوضع عليه الكروم الجمع عروش والعريش مثله وجمعه عُرُش بضمتين كبريد وبُرُد، وعريش الكرم ما يُعْمل مرتفعاً يمتد عليها الكرم؛ والجمع عرائش أيضاً والعرش شبه بيت من جريد . ([3])

وسقوط الجنة على العروش لسقوطها قبلها ولعل ذلك لأنه قد أصاب الجنة من العذاب ما جعلها صعيدا زلقا لا يثبت فيها قائم ولعل تخصيص حال الكروم بالذكر دون النخل والزرع إما لأنها العمدة وهما من متمماتها وإما لأن الذكر هلاكها على ما قيل مغن عن ذكر هلاك الباقي لأنها حيث هلكت وهي مسندة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الأولى وإما لأن الإنفاق في عمارتها أكثر ثم هذه الجملة تبعد ما روي من أن الله تعالى أرسل عليها نارا فأحرقتها وغار ماؤها إلا أن يراد منها مطلق الخراب وحينئذ يجوز أن يراد من (هي) الجنة بجميع ما اشتملت عليه . ([4])

([1]) تفسير البحر المحيط ١٨١/٧

([2]) تفسير حدائق الروح والريحان ١٦/ ٣٧٨

([3]) تفسير الآلوسي ٢٨٤/١٥ ، القاموس المحيط للفيروز آبادي ١/ ١٢٨١

([4]) تفسير الآلوسي ٢٨٤/١٥ ، تفسير حدائق الروح والريحان ١٦/ ٣٧٨ ، فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي ٥٨/٨ ، القاموس المحيط للفيروز آبادي صـــ ١٢٨١

وجملة: ﴿ وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ معطوفة على جملة «يقلب كفيه..» ، أى: صار يقلب كفيه حسرة وندامة لهلاك جنته . ([1])

وجوز أبو البقاء وغيره أن يكون حالا من الضمير المستتر فيه بتقدير وهو يقول لأن المضارع المثبت لا يقترن بالواو الحالية إلا شذوذا ، وجملة ويقول حكاية لتندمه على ما فرط منه حين لا ينفعه الندم بعد حلول العذاب . ([2])

والتعبير بالمضارع للدلالة على تكرر ذلك القول منه .

وحرف النداء مستعمل في التلهف. و (ليتني) تمن مراد به التندم. وأصل قولهم (يا ليتني) أنه تنزيل للكلمة منزلة من يعقل، كأنه يخاطب كلمة (ليت) يقول: احضري فهذا أوانك، ومثله قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٦] ([3])

كأنه أحس بأن الشرك هو الذي ربَّى في نفسه الغرور، وأن الغرور الذي دلاه إلى هذه الحال من الهلاك.

وهل هذا التمني الوارد في الآية الكريمة في الدنيا أم في الآخرة ؟ الأقرب إلى السياق أنه في الدنيا، وأنه سبيل التوبة، وقد يكون في الآخرة كما تدل الآية الآتية وهي قوله تعالى وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ([4]) .

والمعنى : يقول صاحب الجنة : يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ؛ أي: يقول ذلك الكافر : تأسفًا على تلف ماله يا قوم أتمنى عدم إشراكي بالله أحدًا من المخلوقات، كأنّه تذكر موعظة أخيه، وعلم أنه إنما هلكت جنته بشؤم شركه، فتمنى أن لا يكون مشركًا،

([1]) التفسير الوسيط للطنطاوي ٨/ ٥٢١ ، تفسير حدائق الروح والريحان ١٦/ ٣٧٨ .

([2]) تفسير الآلوسي ٢٨٢/١٥

([3]) التحرير والتنوير ٣٢٧/١٥ .

([4]) زهرة التفاسير ٩/ ٤٥٣٥

فلم يصبه ما أصابه حين لا ينفعه التّمني، ولّما كانت رغبته في الإيمان لطلب الدنيا لم يكن قوله هذا توبة وتوحيدًا؛ لخلوه عن الإخلاص.

والخلاصة : أنه لما أنفق عمره في تحصيل الدنيا ، وأعرض عن الدين، ثمّ ضاعت منه الدنيا حرم الدين والدنيا معا، ومن ثمّ عظمت حسرته ، وقال : لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (١)

ونلاحظ كيف أن تمني هذا الرجل كان فيه استعراض وإجمال لما مر معه من أحداث ومواقف ، صورها من خلال إطلاقه لهذه الصرخة " ياليتني " حيث جاءت خاتمة لأحداث هذه القصة ، معبرة عن شدة الحسرة والندامة التي أصابت هذا الرجل ، لقد برز في صرخته هذه الغرض الديني ، وبرزت مشاهد القصة ، وبرزت معها قوة العواطف والانفعالات .

(١) تفسير حدائق الروح والريحان ١٦/ ٣٧٨ تفسير المراغي ١٥/ ١٥٢

المطلب الرابع

تمني الموت خشية الفتنة

وفي ذلك يقول الله عز وجل ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٣]

جاءت هذه الآية الكريمة في أثناء حديث القرآن عن قصة مريم عليها السلام ، حيث قال تعالى واذكر في الكتاب مريم، واذكر – أيها الرسول – ما فى القرآن من قصة مريم، حينما انفردت عن أهلها وعن الناس، وذهبت إلى مكان جهة الشرق من مقامها.

وضربت بينها وبينهم حجاباً، فأرسل الله إليها جبريل فى صورة إنسان تام الخلق، حتى لا تفزع من رؤيته في هيئته الملكية التي لا تألفها.

قالت مريم: إنى ألتجئ إلى الرحمن منك إن يُرجى منك أن تتقى الله وتخشاه.

قال الملك: ما أنا إلا رسول من ربك لأكون سبباً فى أن يوهب لك غلام طاهر خيّر.

قالت مريم: كيف يكون لى غلام ولم يقربنى إنسان، ولست فاجرة؟ .

قال الملك: الأمر كما قلت: لم يمسك رجل. قال ربك: إعطاء الغلام بلا أب علىَّ سهل، وليكون ذلك آية للناس تدل على عظيم قدرتنا، كما يكون رحمة لمن يهتدى به. وكان خلق عيسى أمراً مقدراً لا بد منه.

وتحققت إرادة الله، وحملت مريم بعيسى على الوجه الذى أراده الله، وذهبت بحملها إلى المكان البعيد عن الناس.

فألجأها ألم الولادة إلى أن تركن إلى جذع نخلة لتستند إليه وتستتر به، وتخيَّلت ما سيكون من إنكار أهلها هذا الأمر، وتمنت لو أدركها الموت، وكانت شيئاً منسيا لا يذكر. ([1])

([1]) المنتخب في تفسير القرآن الكريم صـــ ٤٤٥

والفاء في قوله فأجاءها للترتيب والتعقيب حيث جاءت الفاء لبيان ترتيب ما قبلها على ما بعدها وهذا ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور حيث قال "والفاء للتعقيب العرفي، أي جاءها المخاض بعد تمام مدة الحمل" (١)

وقوله: فَأَجاءَهَا أى: فألجأها، يقال: أجأته إلى كذا، بمعنى: ألجأته واضطرته إليه. ويقال: جاء فلان. وأجاءه غيره، إذا حمله على المجيء، وأصله جاء، عدي بالهمزة فقيل: أجاءه، أي جعله جائيا. ثم أطلق مجازا على إلجاء شيء شيئا إلى شيء، كأنه يجيء به إلى ذلك الشيء، ويضطره إلى المجيء إليه. قال الفراء: أصله من جئت وقد جعلته العرب إلجاء. وفي المثل «شر ما يجيئك إلى محة عرقوب» . (٢)

قال صاحب الكشاف: «أجاء: منقول من جاء ، إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء . ألا تراك تقول : جئت المكان وأجاءنيه زيد، كما تقول : بلغته وأبلغنيه ... » (٣)

والمخاض: وجع الولادة . يقال: مخضت المرأة- بكسر الخاء- تمخض- بفتحها- إذا دنا وقت ولادتها مأخوذ من المخض، وهو الحركة الشديدة، وسمى بذلك لشدة تحرك الجنين في بطن الأم عند قرب خروجه. (٤)

والجذع- بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة-: العود الأصلي للنخلة الذي يتفرع منه الجريد. وهو ما بين العروق والأغصان ، أي إلى أصل نخلة استندت إليه. (٥)

وجذع النخلة : ساقها الذي تقوم عليه.

---

(١) التحرير والتنوير ٨٥/١٦

(٢) التحرير والتنوير ٨٥/١٦ التفسير الوسيط للشيخ الطنطاوي ٢٨/٩ ، معاني القرآن للفراء ١٦٤/٢ ، مجمع الأمثال ٣٥٨/١

(٣) تفسير الكشاف ١١/٣

(٤) التفسير الوسيط للشيخ الطنطاوي ٢٨/٩

(٥) التحرير والتنوير ٨٥/١٦

أي: وبعد أن حملت مريم بعيسى، وابتعدت به– وهو محمول في بطنها– عن قومها وحان وقت ولادتها. ألجأها المخاض إلى جذع النخلة لتتكئ عليه عند الولادة . ([1])

وجذع النخلة: ساقها الذي يبدأ من الجذر إلى بداية الجريد، فهل ستتشبث مريم عند وضعها بكل هذه الساق؟ بالطبع ستأخذ الجزء القريب منها فقط، وأُطلق الجذع على سبيل المبالغة، كما في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩] ([2])

والتعريف لا يخلو : إمّا أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق ، كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس ، فإذا قيل : جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل .

وإمّا أن يكون تعريف الجنس ، أي : جذع هذه الشجرة خاصة ، كأن الله تعالى إنما أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها . ولأن النخلة أقل شيء صبراً على البرد ، وثمارها إنما هي من جمارها ، فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها اختارها لها وألجأها إليها . ([3])

والفائدة من مجيئها إلى جِذْع النخلة؛ أن المرأة حينما يأتي وقت ولادتها تحتاج إلى ما تستند إليه، وتتشبث به ليخفف عنها ألم الوضع ، أو رفيقة لها تفزع إليها وتقاسمها هذه المعاناة، فألجأها المخاض إذن إلى جذع (النخلة) ([4])

وكأن الله أرشدها إلى النخلة ليريها من آياته ما يسكن روعتها، وليطعمها الرطب

([1]) التفسير الوسيط للشيخ الطنطاوي ٢٨/٩

([2]) تفسير الشعراوي ١٥/ ٩٠٦٣

([3]) تفسير الكشاف ١٣/٣

([4]) تفسير الشعراوي ١٥/ ٩٠٦٣

الذي هو أشد الأشياء موافقة للنفساء، فهو خرسة لها.

والخرسة بالتاء: طعام النفساء، وبدونها طعام الولادة، ولأن النخلة من أقل الأشجار صبرًا على الأرض، ولأنها لا تثمر إلا عند اللقاح من ذكر النخل، وإذا قطعت رأسها ماتت، فكأنه تعالى قال: كما أن الأنثى لا تلد إلا مع الذكر، فكذا النخلة لا تثمر إلا عند اللقاح، ثم إني أظهر الرطب من غير اللقاح، ليدل ذلك على جواز ظهور الولد من غير ذكر، فحملها بمجرد هزها أنسب شيء بإتيانها بولد من غير والد. (١)

وجملة قالت استئناف بياني، لأن السامع يتشوف إلى معرفة حالها عند وقت وضع حملها بعد ما كان أمرها مستترا غير مكشوف بين الناس وقد آن أن ينكشف، فيجاب السامع بأنها تمنت الموت قبل ذلك فهي في حالة من الحزن ترى أن الموت أهون عليها من الوقوع فيها.

وهذا دليل على مقام صبرها وصدقها في تلقي البلوى التي ابتلاها الله تعالى فلذلك كانت في مقام الصديقية.

والمشار إليه في قولها قبل هذا هو الحمل. أرادت أن لا يتطرق عرضها بطعن ولا تجر على أهلها معرة. ولم تتمن أن تكون ماتت بعد بدو الحمل لأن الموت حينئذ لا يدفع الطعن في عرضها بعد موتها ولا المعرة على أهلها إذ يشاهد أهلها بطنها بحملها وهي ميتة فتطرقها القالة. (٢)

فقوله تعالى إخبارا عنها : ﴿ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴾ فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة، فإنها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد ، ولا يصدقونها في خبرها ، وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية، فقالت : يا ليتني مت قبل

---

(١) حدائق الروح والريحان ١٠٧/١٧، التفسير الوسيط مجمع البحوث الإسلامية ٩٥٦/٦ .

(٢) التحرير والتنوير ٨٥/١٦ .

هذا أي قبل هذا الحال، قاله ابن عباس.

وقال السدي: قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس : يا ليتني مت قبل هذا الكرب الذي أنا فيه والحزن بولادتي المولود من غير بعل . ([1])

ويعلق الإمام الرازي على هذه الفقرة من الآية بقوله " لم قالت: يا ليتني مت قبل هذا مع أنها كانت تعلم أن الله تعالى بعث جبريل إليها وخلق ولدها من نفخ جبريل عليه السلام ووعدها بأن يجعلها وابنها آية للعالمين، والجواب من وجهين: الأول:

قال وهب: أنساها كربة الغربة وما سمعته من الناس [من] بشارة الملائكة بعيسى عليه السلام. الثاني: أن عادة الصالحين إذا وقعوا في بلاء أن يقولوا ذلك. وروي عن أبي بكر أنه نظر إلى طائر على شجرة فقال: طوبى لك يا طائر تقع على الشجرة وتأكل من الثمر! وددت أني ثمرة ينقرها الطائر! وعن عمر أنه أخذ تبنة من الأرض وقال: ليتني هذه التبنة يا ليتني لم أك شيئا!

وعن بلال: ليت بلال لم تلده أمه. فثبت أن هذا الكلام يذكره الصالحون عند اشتداد الأمر عليهم. ([2])

الثالث : لعلها قالت ذلك لكي لا تقع المعصية ممن يتكلم فيها، وإلا فهي راضية بما بشرت به. ([3])

فهي تنادي " ليت " الدالة على التمني، وكأنها تقول إنها تتمنى الموت، وتنادي أداة تمنى الموت قبل هذا ، لأن ذلك وقت تمني الموت فرارا من عار الاتهام الظالم ، وهي البريئة الطاهرة التي اصطفاها رب العالمين .

([1]) تفسير ابن كثير ١٩٨/٥

([2]) شعب الإيمان للبيهقي باب /الخوف من الله ٢٢٧/٢ رقم (٧٦٨) ، سنن الدارقطني كتاب الصلاة ، باب / ذكر الإقامة واختلاف الروايات فيها ، ٤٥٧/١، رقم (٩٥٧)

([3]) تفسير الرازي ٥٢٦/٢١

وأنها ما قالت الذي قالته تململا مما أراد رب العالمين لها من كرامة، وإنما كان ذلك استشعارًا من ضعفها وصعوبة الاحتمال ، وإن كانت راضية بما قضى اللَّه وبما أمر ، غير خالعة ربقة، ولا متمردة على طاعه . ([1])

فهي مدفوعة إلى هذا القول مما شعرت به من أَلم النفس استحياءً من الناس، وخوفا من لائمتهم وحذرا من وقوعهم في المعصية بما يتكلمون في عفتها، فقد توقعت فتنة شديدة بين أَهلها وذويها، وقذفا عنيفا يمس شرف أَصلها ، وطهارة أَبيها وأُمها فأَثار ذلك أَحزانها وجعلها بعد تمنى الموت تتمني أَن تُنسى فلا تذكر أَبدا حيث قالت : وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ([2])

{وَكنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا} ، المنسِيّ والنَسِيّ: الشيء المنسي ، كذبح الشيء المذبوح، ونقص الشيء المنقوص، فالنسي الشيء الذي من شأنه أن ينسى؛ لأنه مهمل في ذاته، والمنسي بالفعل .

وقد قال الزمخشري في هذا الأمر الذي كانت عليه العذراء البتول – محللا الألفاظ – وهو إمام البلاغة: المنسي ما من شأنه أن ينسى ويطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها، كالذِّبح اسم ما شأنه أن يذبح، قال تعالى : (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبحٍ عَظِيمٍ) [الصافات] وعن يونس: العرب إذ ارتحلوا عن الدار قالوا: انظروا أنساءكم أي الشيء اليسير نحو العصا والقدح. ([3])

فهي تمنت لو كانت شيئا تافها لَا يؤبه له من شأنه وحقه أن ينسى في العادة، وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو من حقه، وذلك لما لحقها من فرط الحياء (أي الحال التي توجب الاستحياء) من الناس على حكم العادة البشرية لَا كراهة لحكم اللَّه،

([1]) زهرة التفاسير ٩/ ٤٦٢٧

([2]) التفسير الوسيط مجمع البحوث الإسلامية ٦/ ٩٥٧

([3]) تفسير الكشاف ١٢/٣

أو لشدة التكليف عليها إذ بهتوها . ([1])

وفي هذه الآية يظهر لنا عن طريق أسلوب التمني تصوير دقيق للعواطف الصادقة والانفعالات ، إذ الأماني مرآة تكشف عن دخائل النفوس حين انطلاقها ، معبرة عما فيها من أحاسيس صادقة وصبر وإيمان ، ولذا كان التمني ف حالة الفتنة أو الخوف على الدين لا حرج فيه لأنه دليل على صدق الإيمان والتوجه إلى الله بالكلية والخوف من الفتنة بالدين .

([1]) زهرة التفاسير ٩/ ٤٦٢٧

المطلب الخامس

تمني الظالمين اتباع هدي النبي ﷺ وعدم اتباع غيره

وفي ذلك يقول الله عز وجل : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٦، ٢٨]

بعد أن بين الله عزوجل في الآيات السابقة بعضا من مشاهد يوم القيامة حيث أشارت الآيات السابقة إلى تشقق السماء بالغمام وتنزل الملائكة جاءت هذه الآيات لتصور لنا بأسلوب التمني مشهدا فيه الهول والحسرة والندامة ، مشهدا شاخصا وموقفا حيا ، فيه الحرمة وكأن القارئ يشارك في هذا الموقف لأخذ العظة والعبرة لما سيحدث في ذلك اليوم .

فهذا الظالم ، عند رؤيته ما أعده الله له في ذلك اليوم المهول من العذاب الأليم يشد بأسنانه على يديه ؛ تعبيرا عن حسرته وندامته .

(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ) معطوف على (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ) ، ([1]) وعض اليدين كناية عن شدة الحسرة والندامة والغيظ ، لأن النادم ندما شديدا، يعض يديه. وليس أحد أشد ندما يوم القيامة من الكافرين.

قال– تعالى–: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلعَذَابَ وَقُضِيَ بَينَهُم بِٱلقِسطِ وَهُم لَا يُظلَمُونَ ٥٤ ﴾ [يونس: ٥٤] ([2])

وأصل هذا الفعل التعدية بنفسه وإنما عدي بعلى لإفادة التمكن من المعضوض إذا قصدوا عضا شديدا كما في هذه الآية . ([3])

([1]) زهرة التفاسير ١٠/ ٥٢٧٠

([2]) التفسير الوسيط ١٠/١٩١

([3]) التحرير والتنوير ١٩/١٢

قال الزمخشري: عض الأنامل واليدين والسقوط في اليد وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها وفروعها كنايات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفها فتذكر الرادفة. ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجد عند لفظ المكنى عنه انتهى . ([1])

واختلف المفسرون في نوع أل في قوله (الظالم) فقيل أنها للاستغراق وعليه فالآية تشمل كل ظالم ويفسر الظلم حينئذ بالشرك وقيل أن أل للعهد وبناء على هذا القول فتكون الآية مقصورة على سبب النزول .

يقول الطاهر بن عاشور " والتعريف في الظالم يجوز أن يكون للاستغراق. والمراد بالظلم الشرك فيعم جميع المشركين الذين أشركوا بعد ظهور الدعوة المحمدية بقرينة قوله: يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ، ويكون قوله : ليتني لم أتخذ فلانا خليلا إعلاما بما لا تخلو عنه من صحبة بعضهم مع بعض وإغراء بعضهم بعضا على مناواة الإسلام .

ويجوز أن يكون للعهد المخصوص. والمراد بالظلم الاعتداء الخاص المعهود من قصة معينة وهي قصة عقبة بن أبي معيط وما أغراه به أبي بن خلف." ([2])

وعلى أية حال فإن الآيات وإن كانت قد نزلت في هذين الشقيين. فإنها تشمل كل من كان على شاكلتهما في الكفر والعناد ، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ([3])

والمعنى: أَن كل ظالم فارق الصراط المستقيم، وأَعرض عما جاءَ به الرسول من الحق البيِّن الذي لا مرية فيه فإنه يندم يوم القيامة حيث لا ينفعه الندم، ويعض على يديه،

([1]) تفسير الكشاف ٣/٢٨٠

([2]) التحرير والتنوير ١٩/١١

([3]) التفسير الوسيط ١٠/١٩١

ويطبق أَسنانه على أَنامله حزنًا وألَمًا . (١)

أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان أبيّ بن خلف يحضر النبي ﷺ ، فيزجره عقبة بن أبي معيط، فنزل: وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ إلى قوله: خَذُولًا. (٢)

وفي رواية: كان عقبة بن أبي معيط يكثر مجالسة النبي ﷺ، فدعاه إلى ضيافته، فأبى أن يأكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين، ففعل، وكان أبي بن خلف صديقه، فعاتبه، وقال: صبأت؟! فقال: لا، ولكن أبى أن يأكل من طعامي، وهو في بيتي، فاستحييت منه، فشهدت له، فقال: لا أرضى منك إلا أن تأتيه، فتطأ قفاه، وتبزق في وجهه، فوجده ساجدا في دار الندوة، ففعل ذلك، فقال ﷺ : «لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف» فأسر يوم بدر، فأمر عليا فقتله ، وطعن أبيٌ بأحد في المبارزة، فرجع إلى مكة ومات يقول: يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا.

قال الضحاك: لما بزق عقبة في وجه رسول الله ﷺ ، عاد بزاقه في وجهه، فتشعب شعبتين، فأحرق خديه ، وكان أثر ذلك فيه حتى الموت. (٣)

وجملة يَقُولُ يَا لَيْتَنِي .. إلخ في مَوضع الحال من الظالم، أو مستأْنفة بيانا لما قبلها. (٤)

ويا ليتني نداء للكلام الدال على التمني بتنزيل الكلمة منزلة العاقل الذي يطلب حضوره لأن الحاجة تدعو إليه في حالة الندامة، كأنه يقول: هذا مقامك فاحضري، على نحو قوله: يا حسرتنا على ما فرطنا فيها في سورة الأنعام [٣١] . وهذا النداء يزيد المتمني استبعادا للحصول. (٥)

---

(١) التفسير الوسيط مجمع البحوث الإسلامية ٧/ ١٥٠٦

(٢) اخرجه بن جرير في تفسيره وعزاه لابن عباس ٢٩٢/١١

(٣) أسباب النزول للواحدي ٥٩٩/١ ، والسيوطي في الدر المنثور وعزاه لابن عباس ٢٥٠/٦

(٤) التفسير الوسيط مجمع البحوث الإسلامية ٧/ ١٥٠٦

(٥) التحرير والتنوير ١٣/١٩

والأمنية التي كان يتمناها ، وهي قوله : (اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا)، أي لم أفارقه، ولم أعانده، ولم أكذبه، وقد كان الصديق الأمين، والرسول هو محمد – صلى الله عليه وسلم –، وإن البيان كمال شخصه ورسالته ، ومعنى (اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) أي سرت في مساره غير مفارق سبيله الذي اختار، وتنكير سبيلا للإشارة إلى كرم طريق الرسالة والهداية الذي فارقه، ولم يسر فيه، بل ضل عنه ضلالا بعيدا. ([1])

و (ال) في الرسول للجنس فيعم كل رسول، أَو المعهود: فيكون المراد به رسول هذه الأُمة محمدا ﷺ . ([2])

واتخاذ السبيل: أخذه، وأصل الأخذ: التناول باليد، فأطلق هنا على قصد السير فيه قال تعالى: واتخذ سبيله في البحر [الكهف: ٦٣] .

والسبيل فيه ثلاثة أوجه: أحدها: سبيلاً بطاعة الله ، قاله قتادة.

الثاني: طريقاً إلى النجاة ، حكاه ابن عيسى.

الثالث: وسيلة عند الرسول يكون وصلة إليه، قاله الأخفش. ([3])

ومع الرسول أي متابعا للرسول كما يتابع المسافر دليلا يسلك به أحسن الطرق وأفضلها إلى المكان المقصود.

وإنما عدل عن الإتيان بفعل الاتباع ونحوه بأن يقال: يا ليتني اتبعت الرسول، إلى هذا التركيب المطنب لأن في هذا التركيب تمثيل هيئة الاقتداء بهيئة مسايرة الدليل تمثيلا محتويا على تشبيه دعوة الرسول بالسبيل، ومتضمنا تشبيه ما يحصل عن سلوك ذلك السبيل من النجاة ببلوغ السائر إلى الموضع المقصود، فكان حصول هذه المعاني صائرا

([1]) زهرة التفاسير ١٠/٥٢٧١

([2]) التفسير الوسيط مجمع البحوث الإسلامية ٧/ ١٥٠٦

([3]) تفسير النكت والعيون للماوردي ٤/١٤٣

بالإطناب إلى إيجاز، وأما لفظ المتابعة فقد شاع إطلاقه على الاقتداء فهو غير مشعر بهذا التمثيل .

وعلم أن هذا السبيل سبيل نجاح من تمناه لأن التمني طلب الأمر المحبوب العزيز المنال. ([1])

والمعنى: واذكر– أيها العاقل– يوم القيامة وما فيه من حساب وجزاء، يوم يعض الظالم على يديه من شدة غيظه وندمه وحسرته .

ويقول في هذا اليوم يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا. ([2])

ينادى الظالم في موقفه اليائس الحزين: ويْلَتهُ – أي –: هلاكه، تعبيرا عن حزنه وحسرته، وهي كلمة تقال عند وقوع الداهية العظيمة، والخطب الجسيم . ([3])

ويلتا : الألف مقلوبة عن ياء المتكلم، والويلة بمعنى الهلاك، فهو ينادي هلاكه الذي نزل به، وذلك للشعور بما نزل به، فكأنه ينادي بهلاكه إيماء إلى نزوله به، وكأنَّه يناديه تحسرا، وكأنه يقول يا هلاكي أقبل فهذا وقتك، فإنك نازل لا محالة، وفيه إشعار بأنه يستحقه، ولقد كان في الآية السابقة يتمنى أن يتخذ مع الرسول السبيل الجيد المستقيم، فهنا يتمنى أنه لم يتخذ فلانا خليلا صادقا يخاله ويوده، ويقترن به ويتبعه،([4])

وجملة (يا ويلتا) معترضة بين جملة يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا وجملة ليتني لم أتخذ فلانا خليلا. ([5])

وقوله لَيْتَنِي : تَمَنٍّ، والتمنّي طلب أمر محبوب لا سبيلَ إلى حصوله، كما قال

([1]) التحرير والتنوير ١٣/١٩

([2]) التفسير الوسيط ١٩١/١٠

([3]) التفسير الوسيط مجمع البحوث الإسلامية ١٥٠٧/٧

(٤) زهرة التفاسير ٥٢٧١/١٠

(٥) التحرير والتنوير ١٣/١٩

الشاعر في التمني:

لَيْتَ الكَواكِبَ تَدْنُو لِي فَأَنظِمَهَا ... عُقودَ مَدْحٍ فَمَا أَرْضَى لكُمْ كَلمِي (١)

وهذا أمر لا يمكن أنْ يُنال.

فقصارى ما يعطيه أسلوب التمني أنه يدلّ على أمر محبوب، كنت أحب أن يحدث، لكن أيحدث بالفعل؟ لا. (٢)

وجملة ليتني لم أتخذ فلانا خليلا بدل من جملة ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا بدل اشتمال لأن اتباع سبيل الرسول يشتمل على نبذ خلة الذين يصدون عن سبيله فتمني وقوع أولهما يشتمل على تمني وقوع الثاني. (٣)

فُلاناً خَلِيلًا : يعنى أمية بن خلف ، وكنى عنه ولم يصرح باسمه، لئلا يكون هذا الوعد مخصوصا به، ولا مقصورا عليه، بل يتناول جميع من فعل مثل فعلهما. (٤)

والداعي إلى الكناية بفلان إما قصد إخفاء اسمه خيفة عليه أو خيفة من أهلهم أو للجهل به، أو لعدم الفائدة لذكره، أو لقصد نوع من له اسم علم. وهذان الأخيران هما اللذان يجريان في هذه الآية إن حملت على إرادة خصوص عقبة وأبي أو حملت على إرادة كل مشرك له خليل صده عن اتباع الإسلام.

وإنما تمنى أن لا يكون اتخذه خليلا دون تمني أن يكون عصاه فيما سول له قصدا للاشمئزاز من خلته من أصلها إذ كان الإضلال من أحوالها.

وفيه إيماء إلى أن شأن الخلة الثقة بالخليل وحمل مشورته على النصح فلا ينبغي أن

---

(١) البيت منسوب للفقيه عمارة بن علي بن زيدان اليمني ، حياة الحيوان الكبرى للدميري ١٨٦/٢ .

(٢) تفسير الشعراوي ١٧/ ١٠٤٢٦

(٣) التحرير والتنوير ١٣/١٩

(٤) التفسير المنير ٥٤/١٩

يضع المرء خلته إلا حيث يوقن بالسلامة من إشارات السوء قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَة مِّن دُونِكُم لَا يَأۡلُونَكُم خَبَالا وَدُّواْ مَا عَنِتُّم قَد بَدَتِ ٱلبَغضَاءُ مِن أَفوَٰهِهِم وَمَا تُخفِي صُدُورُهُم أَكبَرُ قَد بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلأٓيَٰتِ إِن كُنتُم تَعقِلُونَ ١١٨ ﴾ [ال عمران: ١١٨] فعلى من يريد اصطفاء خليل أن يسير سيرته في خويصته فإنه سيحمل من يخاله على ما يسير به لنفسه ([1]) .

﴿خَلِيلًا﴾ ؛ أي: صديقًا، من الخلة وهي المودة لأنها تتخلل النفس؛ أي: تتوسطها والمراد من أصله في الدنيا كائنًا من كان من شياطين الإنس والجن، فيدخل فيه أبي المذكور؛ أي: لم أتخذ فلانًا الذي أضلني وصرفني عن طريق الهدى خليلًا وصديقًا .

أطلق عليها ذلك إما لأنها تتخلل النفس أي تتوسطها ، وإما لأنها تخلها فتؤثر فيها تأثير السهم في الرمية، وإما لفرط الحاجة إليها، وهذا التمني وإن كان مسوقا لإبراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته إلى الغير ([2]) .

وهذا دعاء على نفسه بالويل والثبور على مخاللة الكافر الذي أضلَّه في الدنيا. وفلان: كناية عن الأعلام. ([3])

لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي أي: والله لقد أضلنى هذا الصديق المشئوم عن الذكر أي: عن الهدى بعد إذ جاءني الرسول صلّى الله عليه وسلّم فالجملة الكريمة تعليل لتمنيه المذكور، وتوضيح لتمللله. وأكده بلام القسم للمبالغة في بيان شدة ندمه وحسرته.

والمراد بالذكر هنا: ما يشمل القرآن الكريم، وما يشمل غيره من توجيهات النبي صلى الله عليه وسلّم وفي التعبير بقوله: بَعْدَ إِذْ جاءَنِي إشعار بأن هدى الرسول صلّى الله

([1]) التحرير والتنوير ١٥/١٩

([2]) تفسير الآلوسي ١٤/١٠

([3]) حدائق الروح والريحان ٢٤/٢٠

عليه وسلّم قد وصل إلى هذا الشقي، وكان في إمكانه أن ينتفع به .

ثم ختم – سبحانه– الآية بقوله: ﴿ وَكانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا ﴾ أي : وكان الشيطان دائما وأبدا. خذولا للإنسان. أي : صارفا إياه عن الحق ، محرضا له على الباطل، فإذا ما احتاج الإنسان إليه خذله وتركه وفر عنه وهو يقول: إنى بريء منك.

يقال: خذل فلان فلانا ، إذا ترك نصرته بعد أن وعده بها. ([1])

وهذه الآيات بيان لندم الظالم يوم القيامة غاية الندم ، حتى يعض على يديه من شدة ما اجترح من الآثام، ورفقة سيِّئ الخِلّان، حتى أسرف على نفسه بالكبر والكفر وطاعة الشيطان، وهنالك يتبرأ اللعين منه ويخذله كما خذله في الدنيا عن طاعة ربه، وزين له المعصية ليركبها، ومازال يمنيه الطاعة ليسوِّفها. ([2])

وبعد استعراض الآيات السابقة يظهر إعجاز القرآن في تصويره هذه المشاهد ، وإبرازها في صورة حية ملموسة ، إذ هو يعبر عن الحالة النفسية التي تعتري الظالم في ذلك الموقف بالحركات الجسدية المتمثلة في العض على اليدين ، ويعبر عن شدة الندم والحسرة بإطلاق صرخات التمني ، وكيف جعل التمني كاشفا عن حقائق كان يخفيها ذلك الظالم في نفسه ، مع إقراره حينذاك بصحتها وحقيقتها – ولكنه كان يكابر في الاعتراف بها ، إلى أن جاءت اللحظة الحاسمة والتي لم يعد للمكابرة نفع أو فائدة ، فإذا به يعترف بصدق نبوة محمد وبأن هدى الله هو الهدى ، وأن ما سوى ذلك ضلال وخسران ، وأن طاعة النبي واتباعه سبب للسعادة في الدارين .

([1]) التفسير الوسيط للطنطاوي ١٠/١٩١ .

([2]) التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون ٥/٤١٣ .

المطلب السادس

التمني في سياق الانخداع بظواهر الأمور

وفي ذلك يقول الله عز وجل : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَومِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلحَيَوٰةَ ٱلدُّنيَا يَٰلَيتَ لَنَا مِثلَ مَا أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيم ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلعِلمَ وَيلَكُم ثَوَابُ ٱللَّهِ خَير لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحا وَلَا يُلَقَّىٰهَا إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ ﴾ [القصص: ٧٩، ٨٠]

بعد أن ذكر الله – تعالى – فيما سلف بغى قارون وعتوه وجبروته، وكثرة ما أوتيه من المال الذي تنوء به العصبة أولو القوة– أردف ذلك تفصيل بعض مظاهر بغيه وكبريائه، فذكر أنه خرج على قومه ، وهو فى أبهى حليّه وحلله، والعدد العديد من أعوانه وحشمه، قصدا للتعالي على العشيرة، وأبناء البلاد، وفى ذلك كسر للقلوب، وإذلال للنفوس ، وتفريق للكلمة، فلا تربطهم رابطة، ولا تجمعهم جامعة، فيذلون فى الدنيا بانقضاض الأعداء عليهم، وتفريقهم شذر مذر،(١) وقد غرّت هذه المظاهر بعض الجهال الذين لا همّ لهم إلا زخرف الحياة وزينتها، فتمنّوا أن يكون لهم مثلها، فرد عليهم من وفقهم الله لهدايته، بأن ما عنده من النعيم لمن اتقى خير مما أوتى قارون، ولا يناله إلا من صبر على الطاعات ، واجتنب المعاصي . (٢)

فقال تعالى ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَومِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ ۖ ﴾

هذه الآية معطوفة على جملة وآتيناه من الكنوز [القصص: ٧٦] إلى آخرها مع ما عطف عليها وتعلق بها، وما بينهما اعتراض ، فدلت الفاء على أن خروجه بين قومه في زينته بعد ذلك كله كان من أجل أنه لم يقصر عن شيء من سيرته ولم يتعظ بتلك المواعظ

---

(١) قال الزمخشري في الفائق : شذر مذر أي متفرقا. هما اسمان جُعلا واحداً، وشذر من التشذر، ومذر، ميمه بدل من باء، من التبذير. الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري ١١٦/٢

(٢) تفسير المراغي ٩٧/٢٠

ولا زمنا قصيرا بل أعقبها بخروجه هذه الخرجة المليئة صلفا وازدهاء. فالتقدير: قال إنما أوتيته على علم عندي فخرج، أي رفض الموعظة بقوله وفعله. وتعدية (خرج) بحرف على لتضمينه معنى النزول إشارة إلى أنه خروج متعال مترفع، وفي زينته حال من ضمير (خرج) ([1])

وقوله في زينته : إما متعلق بخرج أو بمحذوف هو حال من فاعله أي فخرج عليهم كائنا في زينته. ([2])

والمراد بالزينة: اسم ما يتزين به الإنسان من حلى أو ثياب أو ما يشبههما.

أى: قال ما قال قارون على سبيل الفخر والخيلاء، ولم يكتف بهذا القول بل خرج على قومه في زينة عظيمة. وأبهة فخمة، فيها ما فيها من ألوان الرياش والخدم.

وقد ذكر بعض المفسرين روايات متعددة، في زينته التي خرج فيها، رأينا أن نضرب عنها صفحا لضعفها، ويكفى أن نعلم أنها زينة فخمة، لأنه لم يرد نص في تفاصيلها. ([3]) وأمام هذه الزينة الفخمة التي خرج فيها قارون ، انقسم الناس إلى فريقين، فريق استهوته هذه الزينة، وتمنى أن يكون له مثلها، وقد عبر القرآن عن هذا الفريق بقوله:

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَومِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلحَيَوٰةَ ٱلدُّنيَا يَٰلَيتَ لَنَا مِثلَ مَاأُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيم ٧٩ ﴾ [القصص: ٧٩] ([4]) .

وإنما فصلت جملة قال الذين يريدون الحياة الدنيا ولم تعطف لأنها تتنزل منزلة بدل الاشتمال لما اشتملت عليه الزينة من أنها مما يتمناه الراغبون في الدنيا. وذلك جامع

([1]) التحرير والتنوير ١٨٢/٢٠

([2]) تفسير أبو السعود ٢٦/٧

([3]) تفسير الرازي ١٦/٢٥

([4]) التفسير الوسيط ٤٣٨/١٠

لأحوال الرفاهية وعلى أخصر وجه لأن الذين يريدون الحياة الدنيا لهم أميال مختلفة ورغبات متفاوتة فكل يتمنى أمنية مما تلبس به قارون من الزينة، فحصل هذا المعنى مع حصول الإخبار عن انقسام قومه إلى مغترين بالزخارف العاجلة عن غير علم، وإلى علماء يؤثرون الآجل على العاجل، ولو عطفت جملة قال الذين يريدون بالواو وبالفاء لفاتت هذه الخصوصية البليغة فصارت الجملة إما خبرا من جملة الأخبار عن حال قومه، أو جزء خبر من قصته. (١)

واختلف في المراد من الذين يريدون الحياة الدنيا ، فقيل: هم جماعة من مؤمني بني إسرائيل تمنَّوْا أن تكون لهم دنيا كدنيا قارون جريًا على سنة البشر من حب التوسع فيها ، وكان ذلك على سبيل الغبطة ، لا على سبيل الحسد، وقيل: هم جماعة من الكفار أو المنافقين الذين لا هَمَّ لهم إلاَّ دنياهم، والظاهر مع الرأي الأول، وتمنى مثل ما للغير لا يقدح في الإيمان، ولكن طلب الآخرة أفضل، كما يشير إليه رد أهل العلم عليهم في الآية التالية. (٢)

وأصل الحظ: القسم الذي يعطاه المقسوم له عند العطاء، وأريد به هنا ما قسم له من نعيم الدنيا.

والتوكيد في قوله إنه لذو حظ عظيم كناية عن التعجب حتى كأن السامع ينكر حظه فيؤكده المتكلم (٣)

والمعنى : قال من كان همه الدنيا وزينتها: يا ليت لنا من الأموال والمتاع مثل ما لقارون منها، حتى ننعم عيشا، ونتمتع بزخارف الحياة، كما يتمتع.

وإن مثل هذا التمني ليشاهد كل يوم، وفى كل بلد، وفى كل قرية، فترى الرجل

---

(١) التحرير والتنوير ١٨٢/٢٠

(٢) التفسير الوسيط مجمع البحوث الإسلامية ٩٨/٢٠

(٣) التحرير والتنوير ١٨٢/٢٠

والشاب، والمرأة والفتاة، يتمنى كل منهم أن يكون له مثل ما أوتى فلان وفلانة من ثوب جميل، أو دابة فارهة، أو مزرعة يحصد غلتها، أو قصر مشيد، أو نحو ذلك.

ثم عللوا تمنيهم وأكدوه بقولهم:

(إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) أي إن الله قد تفضل عليه، وآتاه من بسطة الرزق حظا عظيما، ونصيبا كبيرا يغبط عليه. (١)

أما الفريق الثاني المتمثل في أصحاب الإيمان القوى، والعلم النافع، فقد قابلوا أصحاب هذا القول بالزجر والتعنيف، وقد حكى القرآن ذلك عنهم فقال : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ (٢) .

والجملة معطوفة على جملة ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ ﴾ [القصص: ٧٩] فهي مشاركة لها في معناها لأن ما تشتمل عليه خرجة قارون ما تدل عليه ملامحه من فتنة ببهرجته وبزته دالة على قلة اعتداده بثواب الله وعلى تمحضه للإقبال على لذائذ الدنيا ومفاخرها الباطلة ففي كلام الذين أوتوا العلم تنبيه على ذلك وإزالة لما تستجلبه حالة قارون من نفوس المبتلين بزخارف الدنيا. (٣)

وكلمة وَيْلَكُمْ أصلها الدعاء بالهلاك، وهي منصوبة بمقدر. أي: ألزمكم الله الويل ثم استعملت في الزجر والتعنيف والحض على ترك ما هو قبيح، وهذا الاستعمال هو المراد هنا.

أي: وقال الذين أوتوا العلم النافع من قوم قارون. لمن يريدون الحياة الدنيا: كفوا

---

(١) تفسير المراغي ٢٠/٩٧

(٢) التفسير الوسيط ١٠/٤٣٨

(٣) التحرير والتنوير ٢٠/١٨٤

عن قولكم هذا، واتركوا الرغبة في أن تكونوا مثله، فإن ثَوابُ اللَّهِ في الآخرة خَيْرٌ مما تمنيتموه، وهذا الثواب إنما هو لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً فلا تتمنوا عرض الدنيا الزائل.

وهذه المثوبة العظمى التي أعدها الله– تعالى– لمن آمن وعمل صالحا وَلا يُلَقَّاها أى: لا يظفر بها، ولا يوفق للعمل لها إِلَّا الصَّابِرُونَ على طاعة الله– تعالى– وعلى ترك المعاصي والشهوات. ([1])

والسر في تقديم المسند إليه في قوله ثواب الله خير ليتمكن الخبر في ذهن السامعين لأن الابتداء بما يدل على الثواب المضاف إلى أوسع الكرماء كرما مما تستشرف إليه النفس.

وعدل عن الإضمار إلى الموصولية في قوله لمن آمن وعمل صالحا دون: خير لكم، لما في الإظهار من الإشارة إلى أن ثواب الله إنما يناله المؤمنون الذين يعملون الصالحات وأنه على حسب صحة الإيمان ووفرة العمل، مع ما في الموصول من الشمول لمن كان منهم كذلك ولغيرهم ممن لم يحضر ذلك المقام. ([2])

وقوله ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلعِلمَ وَيلَكُم ثَوَابُ ٱللَّهِ خَير لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحا وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ ﴾ [القصص: ٨٠] يجوز أن تكون الواو للعطف فهي من كلام الذين أوتوا العلم، أمروا الذين فتنهم حال قارون بأن يصبروا على حرمانهم مما فيه قارون.

ويجوز أن تكون الواو اعتراضية والجملة معترضة من جانب الله تعالى علم بها عباده فضيلة الصبر. ([3])

والضمير من يُلَقَّاها عائد على ما لم يتقدم له ذكر من حيث الكلام دال عليه،

([1]) التفسير الوسيط ٤٣٨/١٠

([2]) التحرير والتنوير ١٨٤/٢٠

([3]) السابق ذاته

فذلك يجري مجرى تَوارَتْ بِالْحِجابِ [ص: ٣٢] وكُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ [الرحمن: ٢٦] وقال الطبري الضمير عائد على الكلمة قوله ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً أي لا يلقى هذه الكلمة إِلَّا الصَّابِرُونَ وعنهم تصدر (١)

والتلقية: جعل الشيء لاقيا، أي مجتمعا مع شيء آخر وهو مستعمل في الإعطاء على طريقة الاستعارة، أي لا يعطي تلك الخصلة أو السيرة إلا الصابرون لأن الصبر وسيلة لنوال الأمور العظيمة لاحتياج السعي لها إلى تجلد لما يعرض في خلاله من مصاعب وعقبات فإن لم يكن المرء متخلقا بالصبر خارت عزيمته فترك ذاك لذاك. (٢)

من خلال أسلوب التمني في الآيات السابقة ، يظهر الإعجاز الغيبي النفسي ، الذي صوره الله – عز وجل – بصورة إعجازية بيانية ، حيث أظهر أسرارا ومكنونات بشرية لا يطلع عليها أحد إلا الخالق – سبحانه وتعالى – وبين طبيعة النفس البشرية في إقدامها وإحجامها وتأثرها وانخداعها بالمظاهر ، وتدرج هذا التأثر والانخداع حتى وصل غايته ، ونلحظ فيها كيف صور القرآن الكريم ضعف نفوس المتمنين وقصور نظرهم وقلة عقلهم وان هذه الفتنة لم تؤثر إلا فيمن كانت نفسه قابلة للتأثر كصاحب النفس الضعيفة والنظر القاصر أما اصحاب النظر والحكمة فلا تؤثر فيهم هذه الفتن بل نجدهم يردون أولئك المفتونين ويبينون لهم جزاء الله لعباده المؤمنين ويصححون لهم المفاهيم التي اختلطت عليهم .

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ٣٠١/٤، تفسير الطبري ٩٢٦/١٩

(٢) التحرير والتنوير ١٨٥/٢٠

المطلب السابع

التمني في سياق اليأس والقنوط

وفي ذلك يقول الله عز وجل ﴿ يَومَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُم فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيتَنَا أَطَعنَا ٱللَّهَ وَأَطَعنَا ٱلرَّسُولَا ٦٦ ﴾ [الاحزاب: ٦٦]

بعد أن بين الله – تعالى– ما أعده للكافرين من عقاب فقال: إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ بأن طردهم من رحمته، وأبعدهم عن مغفرته.

وَأَعَدَّ لَهُمْ فوق ذلك في الآخرة سَعِيراً أى: نارا شديدة الاشتعال والاتقاد ، خالِدِينَ فِيها أَبَداً أى: خالدين فيها خلودا أبديا لا خروج لهم منها معه.

لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً أى لا يجدون من يحول بينهم وبين الدخول في هذه النار المسعرة، كما لا يجدون من يخلصهم من عذابها وسعيرها.

وبين– سبحانه– في هذه الآية حسراتهم عند ما يحل بهم العذاب في الآخرة فقال: يوم تقلب وجوههم في النار . ([1])

وقوله يوم تقلب وجوههم : يوم ظرف يجوز أن يتعلق بـــ ﴿ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّا وَلَا نَصِيرا ٦٥ ﴾ [الاحزاب: ٦٥] أي إن وجدوا أولياء ونصراء في الدنيا من يهود قريظة وخيبر في يوم الأحزاب فيوم تقلب وجوههم في النار لا يجدون وليا يرثي لهم ولا نصيرا يخلصهم. وتكون جملة يقولون حالا من ضمير يقولون.

ويجوز أن يتعلق الظرف بفعل يقولون على أن تكون جملة يقولون حالا من ضمير لا يجدون .

ويجوز أن ينتصب بفعل محذوف تقديره: اذكر، على طريقة نظائره من ظروف كثيرة واردة في القرآن، وتكون جملة يقولون حالا من الضمير في وجوههم. ([2])

([1]) التفسير الوسيط ٢٥٠/١١ .

([2]) التحرير والتنوير ١١٦/٢٢ .

ومعنى تقليبها: تصريفها في الجهات، كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت فترامى بها الغليان من جهة إلى جهة. أو تغييرها عن أحوالها وتحويلها عن هيئاتها. أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين. ([1])

والمعنى: يوم تقلب ملائكة العذاب وجوههم في النار بغير اختيار منهم، أو يجعل الله ذلك التقلب في وجوههم لتنال النار جميع الوجه كما يقلب الشواء على المشوى لينضج على سواء، ولو كان لفح النار مقتصرا على أحد جانبي الوجه لكان للجانب الآخر بعض الراحة. ([2])

وخص الوجه بالذكر ، لأنه سمة الأعلام بالشخص ، وأشرف أعضائه وأكرمها ، ومنه أخذت الوجاهة والوجيه ، وكلها تدل على الشرف ونظراً لأنه أشرف الجوارح ، فالجوارح كلها تحميه وتدافع عنه ، فالوجه هنا لا يأخذ صورة واحدة ، إنما يأخذ ألواناً متعددة ، أحوالاً شتى ، تدل على تنوع ما يتعرضون له من العذاب والإيلام . ([3])

ولأن حر النار يؤذي الوجوه أشد مما يؤذي بقية الجلد لأن الوجوه مقر الحواس الرقيقة: العيون والأفواه والآذان والمنافس كقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجهِهِۦ سُوٓءَ ٱلعَذَابِ يَومَ ٱلقِيَٰمَةِ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُم تَكسِبُونَ ٢٤ ﴾ [الزمر: ٢٤] ([4])

والفائدة من الإظهار في قوله في النار مزيد بيان وهول مع إفادته استقلال ما هو فيه من الكلام بنفسه ، قال : في النار أي المسعرة حال كونهم يقولون وهم في محل الجزاء وقد فات المحل القابل للعمل ([5]) .

([1]) تفسير الكشاف ٥٦٢/٣

([2]) التحرير والتنوير ١١٦/٢٢

([3]) تفسير الحاوي ١٥٨/ ٢٠٩

([4]) التحرير والتنوير ١١٦/٢٢

([5]) نظم الدرر للبقاعي ٤١٨/١٥

قولُه تعالى : يَقُولُونَ استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشأَ من حكايةِ حالِهم الفظيعةِ كأنَّه قيل فماذا يصنعُون عندَ ذلكَ فقيلَ يقولُون مُتحسِّرين على ما فاتَهم. ياليتنا أَطَعْنَا الله وَأَطَعْنَا الرسولا فلا نُبتلى بهذا العذابِ ، أو حالٌ من ضميرِ وجوهُهم أو من نفسها أو هو العاملُ في يومَ (١) .

وحرف يا في قوله: يا ليتنا للتنبيه لقصد إسماع من يرثى لحالهم مثل ﴿ قَالُواْ يٰحَسرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطنَا فِيهَا ﴾ [الانعام: ٣١] . والتمني هنا كناية عن التندم على ما فات، وكذلك نحو يا حسرتنا أي أن الحسرة غير مجدية .

وقد علموا يومئذ أن ما كان يأمرهم به النبيء صلى الله عليه وسلم هو تبليغ عن مراد الله منهم وأنهم إذ عصوه فقد عصوا الله تعالى فتمنوا يومئذ أن لا يكونوا عصوا الرسول المبلغ عن الله تعالى. (٢)

وذلك على سبيل التحسر والتفجع: يا ليتنا أطعنا الله– تعالى– فيما أمرنا به، وأطعنا رسوله فيما جاءنا به من عند ربه. (٣)

ويقولون إذ ذاك على طريق التمني: ليتنا أطعنا الله في الدنيا، وأطعنا رسوله فيما جاءنا به من أمر ونهى، فما كنا نبتلى بهذا العذاب، بل كنا مع أهل الجنة في الجنة– فيالها من حسرة وندامة، ما أعظمها وأجلها. (٤)

وفى الآية الكريمة عرض لصورة من صور العذاب التي يلقاها الكافرون يوم القيامة ..

إنهم يقلبون على وجوههم في جهنم، وهم أحياء.. كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها ليذوقوا العذاب، ألوانا، وليطعموه حميما وغسّاقا.. وهم في هذا العذاب

---

(١) تفسير ابو السعود ١٨٠/٧

(٢) التحرير والتنوير ١١٦/٢٢

(٣) التفسير الوسيط ٢٥٠/١١

(٤) تفسير المراغي ٤١/٢٢

لا يملكون إلا صرخات الندم والحسرة، على خلافهم لله والرسول، فيقولون: « يا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا » .. وأنّى لهم أن يصلحوا ما أفسدوا ؟ لقد فات الأوان!. ([1])

وعند الشعور بذلك الموقف المخزي المذل ، يبدأ التحسر والندم على ما فات ، فيقولون مكررين « يا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا » للتخفيف عن أنفسهم مما يعانون، ورثاءً لحالهم على ما فاتهم .

فقد أيقنوا وحصل لهم علم في أنفسهم أن الخلاص فقط للمطيع مما زاد في حسرتهم وتمنوا أن يكونوا قد أطاعوا الله في الدنيا، وليس أي طاعة؟ وإنما طاعة عن طريق المبلغ عن الله وهو رسوله مبالغة في الإذعان والخضوع ([2]) .

([1]) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ٧٥٦/١١ .

([2]) تفسير الرازي ٢٣٢/٢٥ ، نظم الدرر للبقاعي ١٣٨/٦ .

المطلب الثامن

التمني الكاشف عن الصدق والإخلاص

وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ قِيلَ ٱدخُلِ ٱلجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيتَ قَومِي يَعلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلمُكرَمِينَ ٢٧ ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧]

بعد بيان حال مشركي العرب الذين أصروا على الكفر، ضرب الحق تعالى لهم مثلا يشبه حالهم في الإفراط والغلو في الكفر وتكذيب الدعاة إلى الله ، وهو حال أهل قرية أنطاكية (١) شمال سورية على ساحل البحر المتوسط الذين كذبوا الرسل فدمرهم الله بصيحة واحدة . (٢)

فبعد أن تعزز موقف الرسل الثلاثة وأعطاهم الله من الكرامات ما أبرأوا به المرضى بل وأحيوا الموتى بإذن الله وأصبح لهم أتباع مؤمنون غضب رؤساء البلاد وأرادوا أن يبطشوا بالرسل، وبلغ ذلك حبيب بن النجار وكان شيخا مؤمناً موحداً يسكن في طرف المدينة الأقصى فجاء يشتد سعيا على قدميه فأمر ونهى وصارح القوم بإيمانه وتوحيده فقتلوه ضربا بأرجلهم قال تعالى وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ – أنطاكية– رَجُلٌ يَسْعَى أي يمشي بسرعة لما بلغه من أن أهل البلاد قد عزموا على قتل الرسل الثلاثة وما إن وصل إلى الجماهير الهائجة حتى قال بأعلى صوته: يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ وسأل الرسل هل طلبتم على إبلاغكم دعوة عيسى أجراً قالوا لا. فقال اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ فاتبعوهم تهتدوا بهدايتهم. وقال له القوم وأنت تعبد الله مثلهم ولا

---

(١) مدينة يونانية تقع غربي مدينة حلب على نهر العاصي قريبا من مصبه في البحر المتوسط. أسسها القائد (سلوقوس الأول) في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وسماها باسم والده وجعلها مقر الحكم ، ولما استقلت سورية عن الدولة العثمانية دخلت في الأراضي السورية ثم سلخت عنها سنة ١٩٣٨م وضمت إلى تركيا مع لواء أسكندرونة ويقال إن بها قبر حبيب النجار الذي ورد ذكره في سورة يس من سور القرآن الكريم. ينظر التعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير ٢٧٧/١ .

(٢) التفسير المنير٣٠١/٢٢

تعبد آلهتنا؟ فقال: وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي أي وأيّ شيء يجعلني لا أعبده وهو خلقني وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أي بعد موتكم فيحاسبكم ويجزيكم بعملكم. ثم اغتنم الفرصة ليدعوا إلى ربه فقال مستفهما أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً أي أصناماً وأوثاناً لا تسمع ولا تبصر إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وإن قلّ ولا ينقذون مما أراده بي من ضر ونحوه إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ أي إني إذا أنا عبدت هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر لفي ضلال مبين واضح لا يحتاج إلى دليل عليه. ورفع صوته مبلغاً إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ أي بخالقكم ورازقكم ومالك أمركم دون هذه الأصنام والأوثان فَاسْمَعُونِ وهنا وثبوا عليه فقتلوه. ولما قيل له ادخل الجنة ورأى نعيمها ذكر قومه ناصحاً لهم فقال: يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (١)

وقوله قيل ادخل الجنة استئناف بياني لما ينتظره سامع القصة من معرفة ما لقيه من قومه بعد أن واجههم بذلك الخطاب الجزل. وهل اهتدوا بهديه أو أعرضوا عنه وتركوه أو آذوه كما يؤذى أمثاله من الداعين إلى الحق المخالفين هوى الدهماء فيجاب بما دل عليه قوله: قيل ادخل الجنة وهو الأهم عند المسلمين وهم من المقصودين بمعرفة مثل هذا ليزدادوا يقينا وثباتا في إيمانهم، وأما المشركون فحظهم من المثل ما تقدم وما يأتي من قوله: ﴿ إِن كَانَت إِلَّا صَيحَة وٰحِدَة فَإِذَا هُم خٰمِدُونَ ٢٩ ﴾ [يس: ٢٩] (٢) .

وإنما لم يقل : قيل له بزيادة لفظة : له ؛ لأن الغرض بيان مقول ، لا المقول له ؛ لظهوره وللمبالغة في المسارعة إلى بيانه (٣) .

وفي قوله : قيل ادخل الجنة كناية عن قتله شهيدا في إعلاء كلمة الله لأن تعقيب موعظته بأمره بدخول الجنة دفعة بلا انتقال يفيد بدلالة الاقتضاء أنه مات وأنهم قتلوه

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري ٣٧٢/٤

(٢) التحرير والتنوير٣٧٠/٢٢

(٣) حدائق الروح والريحان ٥٠٤/٢٣

لمخالفته دينهم، قال بعض المفسرين: قتلوه رجما بالحجارة، وقال بعضهم: أحرقوه، وقال بعضهم: حفروا له حفرة وردموه فيها حيا. ([1])

وإن هذا الرجل المؤمن قد أدخل الجنة عقب موته لأنه كان من الشهداء والشهداء لهم مزية التعجيل بدخول الجنة دخولا غير موسع.

وإنما سلك في هذا المعنى طريق الكناية ولم يصرح بأنهم قتلوه إغماضا لهذا المعنى عن المشركين كيلا يسرهم أن قومه قتلوه فيجعلوه من جملة ما ضرب به المثل لهم وللرسول – صلى الله عليه وسلم – فيطمعوا فيه أنهم يقتلون الرسول صلى الله عليه وسلم فهذه الكناية لا يفهمها إلا أهل الإسلام الذين تقرر عندهم التلازم بين الشهادة في سبيل الله ودخول الجنة، أما المشركون فيحسبون أن ذلك في الآخرة. وقد تكون في الكلام البليغ خصائص يختص بنفعها بعض السامعين. ([2])

والظاهر أن الأمر المقصود به الإذن له بدخول الجنة حقيقة، وفي ذلك إشارة إلى أن الرجل قد فارق الحياة، فعن ابن مسعود أنه بعد أن قال ما قال قتلوه..

وقيل: الأمر للتبشير لا للإذن بالدخول حقيقة، أي: قالت ملائكة الموت وذلك على سبيل البشارة له بأنه من أهل الجنة– يدخلها إذا دخلها المؤمنون بعد البعث ([3])

أى : قالت الملائكة لهذا الرجل الصالح عند موته على سبيل البشارة : ادخل الجنة بسبب إيمانك وعملك الطيب. ([4])

قَالَ .. الخ مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر نشأ من حكاية حاله، كأنه قيل: فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية؟ فقيل: قال متمنيًا علم قومه بحاله ليحملهم ذلك

([1]) تفسير الطبري ٢٠/٥٠٨ .

([2]). التحرير والتنوير٢٢/٣٧٠ .

([3]) تفسير الآلوسي ٢٢/٢٢٨ .

([4]) التفسير الوسيط للطنطاوي ١٢/٢٥ .

على اكتساب مثله بالتوبة من الكفر، والدخول في الإيمان والطاعة ، جريًا على سنن الصالحين في كظم الغيظ، والترحم على الأعداء ، وليعلموا أنهم على خفاء عظيم في أمره، وأنه كان على الحق، وأن عداوتهم لم تكسبه إلا سعادة؛ أي: فلما دخل الجنة وشاهدها قال حبيب النجار: يَا لَيْتَ قَوْمِي يعلمون .

يَا في مثل هذا المقام لمجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه؛ أي: انتبه أيها المخاطب، أتمنى أن قومي والمصابرة على أذيتهم لإعزاز الدين حتى قُتل. ([1])

والغرض من أسلوب التمني في الآية الكريمة ؛ علم قومه بحاله ، ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لأنفسهم، بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والعمل الصالح المفضيين بأهلهما إلى الجنة. وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ، والحلم عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في عمار الأشرار وأهل البغي، والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه. ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام. ويجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره، وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة، وأن عداوتهم لم تكسبه إلا فوزا ولم تعقبه إلا سعادة، لأنّ في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور ، قال ابن أبي ليلى: سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين، علي بن أبي طالب وهو أفضلهم، ومؤمن آل فرعون، وصاحب يس، فهم الصديقون. ([2])

وقيل: تمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطأ في أمره، وهو على صواب، فيندموا ويحزنهم ذلك ويبشر بذلك. وموجود في طباع البشر أن من أصاب خيرا في غير موطنه، ود أن يعلم بذلك جيرانه وأترابه الذين نشأ فيهم ([3]) .

([1]) حدائق الروح والريحان ٢٣/٥٠٤

([2]) تفسير الكشاف ٤/١١

([3]) البحر المحيط ٩/٥٨

ومعنى {بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ} : أي : يا ليت قومي يعلمون بمغفرة ربي لي بإيماني به وتركي عبادة الأَصنام وأَنه أَعقبني بذلك هذا الفوز العظيم، والمراد تعظيم رحمته، وتفخيم مغفرته تعالى. ([1])

وأدخلت الباء على مفعول يعلمون لتضمينه معنى: يخبرون، لأنه لا مطمع في أن يحصل لهم علم ذلك بالنظر والاستدلال. . ([2])

والظاهر أن ما في قوله: بما غفر لي ربي مصدرية، وجوزوا أن يكون بمعنى الذي، والعائد محذوف تقديره: بالذي غفره لي ربي من الذنوب، وليس هذا بجيد، إذ يؤول إلى تمني علمهم بالذنوب المغفرة، والذي يحسن تمني علمهم بمغفرة ذنوبه وجعله من المكرمين. وأجاز الفراء أن تكون ما استفهاما. وقال : يجوز أن يقال بما بالألف، وأنشد فيه أبياتا ، ([3]) وقال الزمخشري: ويحتمل أن تكون استفهامية ([4])، يعني بأي شيء غفر لي ربي، يريد ما كان منه معهم من المصابرة لإعزاز دين الله حتى قيل: إن قوله بما غفر لي ربي يريد ما كان منه معهم بطرح الألف أجود، وإن كان إثباتها جائزا فقال: قد علمت بما صنعت هذا وبم صنعت. انتهى ([5])

والمراد بالمكرمين: الذين تلحقهم كرامة الله تعالى وهم الملائكة والأنبياء وأفضل الصالحين قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدا سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَل عِبَاد مُّكۡرَمُونَ ٢٦ ﴾ [الانبياء: ٢٦] يعني الملائكة وعيسى عليهم السلام. ([6])

والإيمان والعمل الصالح يوجبان أمرين هما الغفران والإكرام كما في قوله تعالى :

([1]) التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ٣٥٨/٨

([2]) التحرير والتنوير٣٧٠/٢٢

([3]) معان القرآن للفراء ٣٧٤/٢ ، تفسير الكشاف ١٥/٤

([4]) معان القرآن للفراء ٣٧٤/٢ ، تفسير الكشاف ١٥/٤

([5]) البحر المحيط ٥٨/٩

([6]) التحرير والتنوير٣٧٠/٢٢

﴿ لِّيَجزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾ [سبا: ٤] كان من المؤمنين الصلحاء، والمكرم على ضد المهان، والإهانة بالحاجة والإكرام بالاستغناء فيغني الله الصالح عن كل أحد ويدفع جميع حاجاته بنفسه ([1]) .

وبالجملة فقد تمنى الرجل أَن يعلم قومه حاله، وعاقبة أمره لقاءَ إِيمانه، وصدق يقينه وتصلبه في دينه، وسخائه بروحه فداءً لعقيدته، وانتصارًا لرسله حتى استحق أَن يكون من جملة المكرمين من الله المبشرين بجنته، الموعودين بنعيمه في حظيرة قدسه، ودار أُنسه، ومستقر رحمته. ([2])

وبناء على ما سبق يكون المعنى أن الله تعالى قال تكريما لهذا الرجل بعد قتله: ادخل الجنة، لاستشهادك في سبيل إعلان الحق، فدخلها وهو يرزق فيها، فلما عاين نعيمها قال: يا ليت قومي يعلمون بمآلي وحسن حالي وحميد عاقبتي، فيؤمنوا مثل إيماني، فيصيروا إلى مثل ما أنا فيه من نعيم، وليتهم يعلمون بما أنعم الله عليّ من مغفرة لذنوبي، وبما جعلني في زمرة المكرمين المقربين الشهداء الذين منحهم ربهم الثواب الجزيل والفضل العميم. وهذا شأن المؤمن المخلص يحب الخير للناس جميعا .

([1]) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٥٤

([2]) التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ٣٥٨/٨

المطلب التاسع

تمني الكفار عدم اتخاذ الشياطين قرناء

وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ وَمَن يَعشُ عَن ذِكرِ ٱلرَّحمَٰنِ نُقَيِّض لَهُۥ شَيطَٰنا فَهُوَ لَهُۥ قَرِين ٣٦ وَإِنَّهُم لَيَصُدُّونَهُم عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحسَبُونَ أَنَّهُم مُّهتَدُونَ ٣٧ حَتَّىٰٓ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَٰلَيتَ بَينِي وَبَينَكَ بُعدَ ٱلمَشرِقَينِ فَبِئسَ ٱلقَرِينُ ٣٨ ﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٨]

بعد أن بيّن الله تعالى أن المال متاع الدنيا، وهو زائل ، نبّه إلى آفات المال، لأن من فاز بالمال والجاه صار كالأعمى عن ذكر الله، وصار من جلساء الشياطين الضالين المضلين الذين يصدون الناس عن طريق الهداية في الدنيا، أما في الآخرة فيتبرأ الكافر من قرينه الشيطان. وهما في العذاب مشتركان ، والاشتراك في العذاب لا يفيد التخفيف كما كان يفيده في الدنيا. (١)

يبين الله تعالى في هذه الآيات أن من يتغافل أو يتعامى عن النظر في القرآن والعمل به، ومن يعرض عن شرع الله تعالى، ويقلّ نظره في تذكير الرحمن الذي ذكّر به عباده، نيسر له شيطانا يلازمه ويغويه، فيكون له قرينا مصاحبا له على الدوام، أي إن هذا عقاب على الكفر بالطبع على القلب وعدم الفلاح، وهذا كما يقال: إن الله تعالى يعاقب على المعصية بالتزيد في المعاصي، ويجازي على الحسنات بالتزيّد في الحسنات، ونقيض له شيطانا: نهيّئ ونضم ونيسر له.

وإن الشياطين الذين يقيضهم الله تعالى لكل معرض عن ذكر الرحمن، ليمنعونهم بالوسواس عن سبيل الحق والرشاد، ويحسب الكفار بسبب تلك الوسوسة أنهم مهتدون إلى الحق والصواب.

ثم يتبرأ الكافر في الآخرة من قرينه الشيطان، فإنه إذا وافى الله يوم القيامة يتبرم

---

(١) التفسير المنير ١٥٥/٢٥

بالشيطان الذي وكل به، ويتمنى البعد عنه كما بين المشرق والمغرب، فبئس الصاحب الملازم للإنسان شيطانه. ([1])

يتضح ذلك في قوله تعالى حتى إذا جاءنا أي يوم القيامة وحيدا ليس معه من يسلبه ويخفف عنه ، ووقف أمام الله عز وجل ذلك الموقف المهيب تيقن وعلم أنه كان على ضلال وبعد كل البعد عن طريق الهداية ، وأن الطريق الذي كان يمليه عليه قرينه – الشيطان– كان طريق غواية وضلال ولا التقاء بين الطريقين .

فأيقن حينئذ أنه هالك وخاسر ، وأخذ في التندم والتحسر والتلهف على تلك الصلة التي كانت بينه وبين قرينه ، ويبين مدى الضيق الحاصل له من تلك العلاقة .

وحتى ابتدائية، وهي تفيد التسبب الذي هو غاية مجازية. فاستعمال حتى فيه استعارة تبعية. وليست في الآية دلالة على دوام الصد عن السبيل وحسبان الآخرين الاهتداء إلى فناء القرينين، إذ قد يؤمن الكافر فينقطع الصد والحسبان فلا تغتر بتوهم من يزعمون أن الغاية الحقيقية لا تفارق حتى في جميع استعمالاتها ، وحرف يا أصله للنداء، ويستعمل للتلهف كثيرا كما في قوله ﴿ يَٰحَسرَةً عَلَى ٱلعِبَادِ مَا يَأتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَستَهزِءُونَ ٣٠ ﴾ [يس: ٣٠] وهو هنا للتلهف والتندم. ([2])

﴿ يٰلَيتَ بَينِي وَبَينَكَ بُعدَ ٱلمَشرِقَينِ ﴾ أى: يتمنى الكافر أن تكون المسافة التي بينه وبين الشيطان من البعد والمفارقة، كالمسافة التي بين المشرق والمغرب. ([3])

لأن الشيطان قد أضله وأوصله إلى هذا العذاب المهين، والخزي الدائم، والعيش الضنك، والمحل المقضّ المضجع. ([4])

([1]) التفسير الوسيط للزحيلي ٣/٢٣٦٥

([2]) التحرير والتنوير ٢٥/٢١٢

([3]) التفسير الوسيط للطنطاوي ١٣/٨١

([4]) تفسير المراغي ٢٥/٩٠

فهو بهذا التمني يلقي التبعة على الشيطان الذي أضله وأغواه فليتني ما صحبتك ولا عرفتك ولا كانت بيني وبينك أية صلة ، حتى كنا في التباعد كأن أحدنا في المشرق والآخر في المغرب لا يلتقيان ولا يتقاربان . ([1])

بُعْدَ المشرقين : أي بعد كل منهما من الآخر ، والمراد بهما المشرق والمغرب كما اختاره الزجاج والفراء ([2]) لكن غلب المشرق على المغرب وثنيا كالموصلين للموصل والجزيرة وأضيف البعد إليهما ، والأصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق وإنما اختصر هذا المبسوط لعدم الالباس إذ لا خفاء أنه لا يراد بعدهما من شيء واحد لأن البعد من احدهما قرب من الآخر ولأنهما متقابلان فبعد أحدهما من الآخر مثل في غاية البعد لا بعدهما عن شيء آخر ، واشعار السياق بالمبالغة لا ينكر فلا لبس من هذا الوجه أيضاً . ([3])

فَبِئْسَ القرين: أي فبئس الصاحب أنت ؛ لأنه يورده إلى النار.

قال أبو سعيد الخدرِيّ : إذا بُعث الكافِر زوّج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير به إلى النار. ([4])

وقوله فبئس القرين ، بعد أن تمنى مفارقته فرع عليه ذما فالكافر يذم شيطانه الذي كان قرينا، ويعرض بذلك للتفصي من المؤاخذة، وإلقاء التبعة على الشيطان الذي أضله.

والمقصود من حكاية هذا تفظيع عواقب هذه المقارنة التي كانت شغف المتقارنين، وكذلك شأن كل مقارنة على عمل سيئ العاقبة. وهذا من قبل قوله تعالى: ﴿ ٱلۡأَخِلَّاءُ يَومَئِذِۭ بَعضُهُم لِبَعضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧ ﴾ [الزخرف: ٦٧] ([5])

([1]) حاشية الجمل على تفسير الجلالين ٩٤/٧

([2]) معاني القرآن للزجاج ٤١٢/٤ ، معاني القرآن للفراء ٣٣/٣

([3]) تفسير الآلوسي ٨٢/١٣

([4]) تفسير القرطبي ٩١/١٦

([5]) التحرير والتنوير ٢١٢/٢٥

ويتضح من خلال دراسة هذه الآيات السابقة أن مهمة الشياطين خطيرة تستوجب الحذر من وساوسهم وإغواءاتهم، فهم يصدون الناس عن سبيل الهدى، حتى يخيل للكفار ويجعلهم يظنون أنهم مهتدون. وقيل: ويحسب الكفار أن الشياطين مهتدون، فيطيعونهم.

وتتجلى الحقيقة المرّة في الآخرة، حين يتبرأ الكافر من الشيطان، ويتمنى البعد عنه كالبعد بين المشرق والمغرب، ويقول له: فبئس القرين أنت ، لأنه يورده النار. ([1])

ويوحي أسلوب التمني في هذه الآية بمدى الضيق الذي يظهر على الكافر يوم القيامة بأنه يتمنى أن لو لم يجمعهما فلك ، وأن لو كان كل منهما في عالم غير العالم الذي يعيش فيه صاحبه واستحالة الالتقاء بينهما كما يستحيل التقاء مشرق الشتاء شتاء بمشرقها صيفا .

([1]) التفسير المنير ٢٥/١٦٠

المطلب العاشر

تمني الكفار دوام الموت وعدم البعث

وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَم أُوتَ كِتَٰبِيَه ٢٥ وَلَم أَدرِ مَا حِسَابِيَه ٢٦ يَٰلَيتَهَا كَانَتِ ٱلقَاضِيَةَ ٢٧ ﴾ [الحاقة: ٢٥، ٢٧]

بعد أن ذكر الله سرور السعداء بصحائف أعمالهم، ثم بيّن حسن أحوالهم فى معايشهم ومساكنهم– أردف ذلك بذكر غمّ الأشقياء الكافرين ، بيّن الله تعالى للموازنة والمقارنة والعبرة حال الأشقياء الكفار في الآخرة، وتعرضهم لألوان العذاب في نار جهنم، مع بيان سبب ذلك: وهو عدم الإيمان بالله العظيم، والإعراض عن مساعدة المساكين البائسين. (١)

يبين الله تعالى حال الكافر يوم القيامة ، فإنه لما نظر فى صحيفة أعماله، وتذكر قبيح أفعاله، خجل منها وتمنى أن لو كان عذب فى النار ولم يخجل هذا الخجل. (٢)

وآثر التعبير بالمفعول في قوله أوتي للدلالة على ذله حين أخذ كتابه وعدم قدرته على الامتناع عن شيء يسوءه . (٣)

فيقول أي لما يرى من سوء عاقبته التي كشف له عنها الغطاء حتى لم يشك فيها لما يرى من قبائحه التي قدمها، وكل ما يأتي مما يوهم سكتة في ذلك اليوم فمن باب المكابرة والمدافعة بالباطل على ما كان عليه في الدنيا يا ليتني تمنياً للمحال، وجرى عن نسق ما مضى في البناء للمفعول الدال على ذله وعدم جبلته فقال: لم أوت أي من مؤت ما كتابيه * أي هذا الذي ذكرني بخبائث أعمالي وعرفني جزاءها . (٤)

---

(١) تفسير المراغي ٥٨/٢٩ ، تفسير المنير ٩٨/٢٩ .

(٢) تفسير المراغي ٥٩/٢٩ .

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٣٦٦/٢٠ .

(٤) السابق ذاته .

وتمني كل من أوتي كتابه بشماله أنه لم يؤت كتابه، لأنه علم من الاطلاع على كتابه أنه صائر إلى العذاب فيتمنى أن لا يكون علم بذلك إبقاء على نفسه من حزنها زمنا فإن ترقب السوء عذاب. (١)

ويعلق الإمام الرازي على هذه الآية فيقول "

واعلم أنه تعالى بين أنه لما نظر في كتابه وتذكر قبائح أفعاله خجل منها وصار العذاب الحاصل من تلك الخجالة أزيد من عذاب النار فقال ليتهم عذبوني بالنار وما عرضوا هذا الكتاب الذي ذكرني قبائح أفعالي حتى لا أقع في هذه الخجالة وهذا ينبهك على أن العذاب الروحاني أشد من العذاب الجسماني" (٢)

وجملة ولم أدر ما حسابيه في موضع الحال من ضمير ليتني.

والمعنى: أنه كان مكذبا بالحساب وهو مقابل قول الذي أوتي كتابه بيمينه: ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَه ٢٠ ﴾ [الحاقة: ٢٠]

وجملة الحال معترضة بين جملتي التمني .

ويجوز أن يكون عطفا على التمني، أي يا ليتني لم أدر ما حسابيه، أي لم أعرف كنه حسابي، أي نتيجته، وهذا وإن كان في معنى التمني الذي قبله فإعادته تكرير لأجل التحسر والتحزن.

وما استفهامية، والاستفهام بها هو الذي علق فعل أدر عن العمل، ويا ليتها كانت القاضية تمن آخر ولم يعطف على التمني الأول لأن المقصود التحسر والتندم. (٣)

فضميرُ ليتِهَا للموتةِ ويجوزُ أن يكونَ لِمَا شاهدَهُ من الحالةِ أي يا ليتَ هذه الحالةَ

---

(١) التحرير والتنوير ١٣٥/٢٩

(٢) تفسير الرازي ١٠٠/٣٠

(٣) التحرير والتنوير ١٣٥/٢٩

كانتِ الموتةَ التي قضتْ عليَّ لما أَنَّهُ وجدَها أمرَّ من الموتَ فتمنَّاهُ عندَها وقد جُوِّزَ أن يكونَ للحياةِ الدُّنيا أيْ يا ليتَ الحياةَ الدُّنيا كانتِ الموتةَ ولم أُخلقْ حياً . (١)

والمعنى أنه يقول – متمنيا ولا ينفع التمني – ليت الموتة التي متُّها وذقتها في الدنيا كانت هي القاطعة لأَمري ولم أُبعث بعدها ولم أَنل وأَلق ما أَلقاه من العذاب المهين، أَو ليت هذه الحالة – وهي حالة مطالعته لكتابه يوم القيامة – كانت الموتة التي قضت عليّ؛ لأَنه قد صار إِلى أَمر أَشد إِيلاما ومرارة من الموت فتمناه عنده، وقد قيل: أَشد من الموت ما يتمنى الموت عنده. (٢)

فهو يتمنى دوام الموت وعدم البعث، لما شاهد من سوء عمله، وما يصير إليه من العذاب. ونظير الآية قوله تعالى : ﴿ يَومَ يَنظُرُ ٱلمَرءُ مَا قَدَّمَت يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلكَافِرُ يٰلَيتَنِي كُنتُ تُرٰبَا ٤٠ ﴾ [النبأ: ٤٠] ، والمعنى :مقبورا في التراب. (٣) وخص بالذكر من عموم المرء الإنسان الكافر الذي يقول: ياليتني كنت ترابا لأن سورة النبأ أقيمت على إنذار منكري البعث فكان ذلك وجه تخصيصه بالذكر، أي يوم يتمنى الكافر أنه لم يخلق من الأحياء فضلا عن أصحاب العقول المكلفين بالشرائع، أي يتمنى أن يكون غير مدرك ولا حساس بأن يكون أقل شيء مما لا إدراك له وهو التراب، وذلك تلهف وتندم على ما قدمت يداه من الكفر.

وقد كانوا يقولون: أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون [الإسراء: ٩٨] فجعل الله عقابهم بالتحسر وتمني أن يكونوا من جنس التراب.

وذكر وصف الكافر يفهم منه أن المؤمن ليس كذلك لأن المؤمن وإن عمل بعض السيئات وتوقع العقاب على سيئاته فهو يرجو أن تكون عاقبته إلى النعيم وقد قال الله

---

(١) تفسير أبي السعود ٢٥/٩

(٢) التفسير الوسيط مجمع البحوث الإسلامية ١٥٦١/١٠

(٣) التفسير المنير ٩٨/٢٩

تعالى: ﴿ يَومَ تَجدُ كُلُّ نَفس مَّا عَمِلَت مِن خَيرٍ مُّحضَرا وَمَا عَمِلَت مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَو أَنَّ بَينَهَا وَبَينَهُۥ أَمَدَا بَعِيدا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفسَهُۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلعِبَادِ ٣٠ ﴾ [ال عمران: ٣٠] وقال﴿ لِّيُرَوا۟ أَعمَٰلَهُم ٦ فَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ خَيرا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّة شَرّا يَرَهُۥ ٨ ﴾ [الزلزلة: ٦، ٨] فالمؤمنون يرون ثواب الإيمان وهو أعظم ثواب، وثواب حسناتهم على تفاوتهم فيها ويرجون المصير إلى ذلك الثواب وما يرونه من سيئاتهم لا يطغى على ثواب حسناتهم، فهم كلهم يرجون المصير إلى النعيم، وقد ضرب الله لهم أو لمن يقاربهم مثلا بقوله :

﴿ وَبَينَهُمَا حِجَاب وَعَلَى ٱلأَعرَافِ رِجَال يَعرِفُونَ كُلَّا بِسِيمَٰهُم وَنَادَوا۟ أَصحَٰبَ ٱلجَنَّةِ أَن سَلَمٌ عَلَيكُم لَم يَدخُلُوهَا وَهُم يَطمَعُونَ ٤٦ ﴾ [الاعراف: ٤٦]

وهذه الآية جامعة لما جاء في سورة النبأ من أحوال الفريقين وفي آخرها رد العجز على الصدر من ذكر أحوال الكافرين الذين عرفوا بالطاغين وبذلك كان ختام السورة بها براعة مقطع. (١)

وإذا كان المؤمن يفاخر بكتابه ابتهاجا وفرحا ، فإن الكافر الشقي يتمنى الموت، ويكره البعث والعودة إلى الحياة مرة أخرى. قال القفّال: تمنى الموت حين رأى من الخجل وسوء المنقلب ما هو أشدّ وأشنع من الموت. (٢)

والقاضية : الموت وهو معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنذَرنَٰكُم عَذَابا قَرِيبا يَومَ يَنظُرُ ٱلمَرءُ مَا قَدَّمَت يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلكَافِرُ يَٰلَيتَنِي كُنتُ تُرَٰبَا ٤٠ ﴾ [النبأ: ٤٠]، أي مقبورا في التراب.

وجملة يا ليتها كانت القاضية من الكلام الصالح لأن يكون مثلا لإيجازه ووفرة دلالته ورشاقة معناه عبر بها عما يقوله من أوتي كتابه بشماله من التحسر بالعبارة التي

---

(١) التحرير والتنوير ٥٩/٣٠

(٢) التفسير المنير ٩٨/٢٩

يقولها المتحسر في الدنيا بكلام عربي يؤدي المعنى المقصود. ([1])

ويوحي أسلوب التمني في هذه الآيات أن الشّقي الذي أعطي كتابه بشماله أو من وراء ظهره ، فيقول حزنا وكربا لما رأى من سوء عمله وعقيدته : يا ليتني لم أعط كتابي. ولم أعلم شيئا عن حسابي، لأن كله وبال علي ، ليت الموتة التي متّها في الدنيا كانت القاطعة نهاية الحياة، ولم أبعث بعدها، أي ليتها لم يكن بعدها رجوع ولا حياة . ([2])

([1]) التحرير والتنوير ١٣٦/٢٩ .

([2]) التفسير الوسيط للزحيلي ٣/ ٢٧٢٧ .

المطلب الحادي عشر

التمني في سياق الحرص على الحياة الدنيا

وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ ٱلأَرضُ دَكّا دَكّا ٢١ وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلَمَلَكُ صَفّا صَفّا ٢٢ وَجِاْيءَ يَومَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَومَئِذ يَتَذَكَّرُ ٱلإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يٰلَيتَنِي قَدَّمتُ لِحَيَاتِي ٢٤ ﴾ [الفجر: ٢١، ٢٤]

بعد أن أنكر اللَّه على الناس تصورهم عن الغنى والفقر، وأفعالهم المنكرة، بالحرص على الدنيا، وإيثارها على الآخرة، وترك المواساة منها ، وجمعها دون تفرقة بين حلال أو حرام، ردعهم عن ذلك، وأخبر عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة، وأبان أنهم يندمون حين لا ينفع الندم: يَقُولُ: يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي فإن الآخرة دار جزاء لا دار عمل، ثم ذكر تحسر المقصر في طاعة اللَّه يوم القيامة: يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرى. (١)

وقوله تعالى ﴿ كلا ﴾ حرف ردع وزجر عن الأعمال التي كانوا يقترفونها ، وهي عدم إكرامهم اليتيم وعدم حضهم على طعام المسكين، وأكلهم التراث الذي هو مال غير آكله، وعن حب المال حبا جما . (٢)

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ ٱلأَرضُ دَكّا دَكّا ﴾ إلى آخره استئناف جيءَ به بطريق الوعيد تعليلا للردع ، أَي: إذا هدم كل ما على الأَرض بالدك والزلزلة مرة بعد أُخرى حتى انكسر وتفتت (٣)

والجملة الفعلية في محل الخفض بإضافة {إذا} إليها؛ لأنها فعل شرط لها، و {إذا} متعلقة بالجواب الآتي ، وهو قوله: {يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ} ما فرط فيه في الدنيا . (٤)

---

(١) التفسير المنير ٢٣٧/٣٠

(٢) التحرير والتنوير ٣٣٥/٣٠

(٣) التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ١٠/ ١٩٠٥

(٤) حدائق الروح والريحان ٤٢٤/٣١

وانتصب لفظ «دكا» الأول على أنه مصدر مؤكد للفعل، وانتصاب الثاني على أنه تأكيد للأول. وقيل: تكرار «دكا» للدلالة على الاستيعاب ، كقولك: قرأت النحو بابا بابا ، أى: قرأته كله . (١)

والدك: الدق ، يقال: دككت الشيء أدكه دكًا: إذا ضربته وكسرته حتى سويته بالأرض، وقال الخليل : الدك: كسر الحائط والجبل ، (٢) وقال الزجاج: تزلزلت، ودك بعضها بعضًا، (٣) والمعنى هنا: زلزلت، وحركت تحريكًا بعد تحريك، و قيل أن دكًا الثاني ليس تأكيدًا للأول، بل هو دك آخر سوى الأول ، وانتصاب {دَكًّا} الأول على أنه مصدر مؤكد لفعله، و{دَكًّا} الثاني: تأكيد للأول ، ويجوز أن يكون النصب على الحال؛ أي: حال كونها مدكوكة مرة بعد مرة، والمعنى: أنه كرِّر الدَّكُّ عليها حتى صارت هباءً منبثًا .

والخلاصة : أنه إذا دكت الأرض دكًا بعد دك، وتتابع عليها ذلك حتى صارت كالصخرة الملساء، وذهب كل ما على وجهها من جبال وقصور وأبنية .. يتذكر الإنسان ما فرط فيه. (٤)

قال القرطبي: قوله – تعالى – : كَلَّا إِذا دُكَّتِ الْأَرْضُ ... أي : ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر . فهو رد لانكبابهم على الدنيا، وجمعهم لها، فإن من فعل ذلك يندم يوم تدك الأرض، ولا ينفعه الندم . (٥)

﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ هذه الآية ونظائرها من آيات الصفات التي سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف، فلم يتكلموا فيه ،

---

(١) التفسير الوسيط ٣٩٣/١٥

(٢) العين للخليل الفراهيدي ٢٤٧/٥

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٢٣/٥

(٤) حدائق الروح والريحان ٤٢٤/٣١

(٥) تفسير القرطبي ٥٤/٢٠

وأجروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل، وقالوا : يلزمنا الإيمان بها، وإجراؤها على ظاهرها، فنقول على مذهبهم : المجيء صفة واجبة لله تعالى، نثبتها ونعتقدها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل، وهذا هو المذهب الأسلم الأعلم، وتأولها بعض المتأخرين وغالب المتكلمين، فقالوا: ثبت بالدليل العقلي أن الحركة على الله محال، فلا بد من تأويل الآية، فقيل في تأويلها: وجاء أمر ربك بالمحاسبة والجزاء، وقيل: جاء أمر ربك وقضاؤه، وقيل: وجاء دلائل آيات ربك، فجعل مجيئها مجيئًا له تعالى تفخيمًا لتلك الآيات ، وقال النسفي: وهذا تمثيل لظهور آيات اقتداره، وتبين آثار قهره وسلطانه، فإن واحدًا من الملوك إذا حضر بنفسه .. ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور وزرائه وسائر خواصه وعساكره. انتهى. بتصرف. (١)

وقال الشوكاني: أي: جاء أمره وقضاؤه، وظهرت آياته،(٢) وقيل: المعنى: أنها زالت الشبه في ذلك اليوم، وظهرت المعارف، وصارت ضرورية، كما يزول الشك عند مجيء الشيء الذي كان يشك فيه، وقيل: جاء قهر ربك وسلطانه، وانفراده بالأمر، والتدبير من غير أن يجعل ويفوض إلى أحد من عباده شيئًا من ذلك. انتهى . (٣)

وَالْمَلَكُ أي : جنس الملك، فيشمل جميع الملائكة. (٤)

صفا صفا ف صفا الأول حال من الملك وصفا الثاني لم يختلف المفسرون في أنه من التكرير المراد به الترتيب والتصنيف، أي صفا بعد صف، أو خلف صف، أو صنفا من الملائكة دون صنف ، قيل : ملائكة كل سماء يكونون صفا حول الأرض على حدة.

فصفا الثاني في الحقيقة ليس تأكيدا إذ ليس الثاني لتقرير ما سبق بل هو لتكرير

---

(١) تفسير النسفي ٤/ ٢٧٣

(٢) فتح القدير للشوكاني ٥/٦٢٤

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان ٣١/٤٢٥

(٤) تفسير الآلوسي ١٥/٣٤٣

المعنى لأن الثاني غير الأول معنى. (١)

والآية الكريمة تصور لنا تجلي السطوة الإلهية وقهر الربوبية لأهل الموقف ، كما تتجلى أبهة الملك للأعين إذا جاء الملك في جيوشه ومواكبه، ولله المثل الأعلى. (٢)

{وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ}؛ أي: ويوم إذ كشفت جهنم للناظرين بعد أن كانت غائبة محجوبة عنهم، كقوله تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ٩١ ﴾ [الشعراء: ٩١] ؛ أي: أظهرت حتى رآها الخلق وعاينوها، وليس المراد أنها نقلت عن مكانها إلى مكان آخر، فالمجيء بها عبارة عن إظهارها حتى يراها الخلق مع ثباتها في مكانها، فإن من المعلوم أنها لا تنفك عن مكانها، و {يَوْمَئِذٍ} منصوب بـــ {جيء}، و {بِجَهَنَّمَ}: نائب فاعل له والباء للتعدية.

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، يجرونها "(٣) فالمجيء بها على حقيقته، فالجر يدل على انفكاكها من مكانها، وتأوله الأولون على التجوز بأن معنى يجرون : يباشرون أسباب ظهورها، وقيل: المراد بمجيء جهنم: مجيء صورتها المثالية ، ولا مناقشة فيه، فيكون كمجيء المسجد الأقصى إلى مرأى النبي – صلى الله عليه وسلم – حين سأله قريش عن بعض أوصافه في قصة المعراج.

{يَوْمَئِذٍ} بدل من قوله : {إِذَا دُكَّتِ} ، والعامل فيهما قوله تعالى : {يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ}؛ أي: يوم إذ دكت الأرض دكًا دكًا، وجاء ربك والملك صفًا صفًا، يتذكر

---

(١) التحرير والتنوير ٣٣٧/٣٠

(٢) تفسير المراغي ١٥٢/٣٠

(٣) صحيح مسلم كتاب / الجنة وصفة نعيم أهلها ، باب : في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين ٢١٦/٧

الإنسان ما فرَّط وقصر فيه من حقوق ربه، وحقوق الخلق بتفاصيله، بمشاهدة آثاره وأحكامه، أو بمعاينة عينه على أن الأعمال تتجسم في النشأة الآخرة، فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة، أو يتعظ ؛ أي: يقبل التذكير والإرشاد الذي بلغ إليه في الدنيا، ولم يتعظ ولم يقبله في الدنيا، فيتعظ به في الآخرة، فيقول: يا ليتنا نرد، ولا نكذب بآيات ربنا، وهذا الاتعاظ يستلزم الندم على تقصيراته، والندم توبة، لكن لا توبة هناك لفوات أوانها.

وقوله: {وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى}؛ أي: ومن أين له العظة، وقد فاته أوانها؟، اعتراض بين البدل والمبدل منه، جيء به لإفادة أنه ليس بتذكر حقيقة؛ لخلوه عن الفائدة بعدم وقوعه في أوانه، و {أَنَّى}: خبر مقدم لـــ {الذِّكْرَى}، و {لَهُ}: متعلق بما تعلق به الخبر؛ أي: ومن أين يكون له التذكر، والاتعاظ، وقد فات أوانه، وقيل: هو على حذف مضاف؛ أي: ومن أين له منفعة الذكرى، وبه يرتفع التناقض الواقع بين إثبات التذكر أولًا، ونفيه ثانيًا. (١)

(يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) :

استئناف وقع جوابًا عن سؤال مقدر، كأَنه قيل: ماذا يكون عند تذكره؟ فقيل: (يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) أَي: يدفعه ما يقبض به نفسه من الندم والحسرة إِلى أَن يقول: يا ليتني قدمت عملًا صالحًا ينفعني في آخرتي فهي حياتي في الباقية، أَو يا ليتني قدمت وعملت أَعمالًا نافعة وقت حياتي في الدنيا لأَنتفع بها اليوم . (٢)

والمعنى يا ليتني عملت لحياتي هذه – يعني: لتحصيل الحياة الأخروية التي هي حياة نافعة دائمة غير منقطعة – أعمالًا صالحةً أنتفع بها اليوم، على أن اللام للتعليل، ويحتمل كون اللام للتوقيت؛ أي: يا ليتني قدمت أعمالًا صالحة تنفعني اليوم وقت حياتي الدنيوية،

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان ٤٢٥/٣١

(٢) التفسير الوسيط مجمع البحوث الإسلامية ١٩٠٦/١٠

ويجوز أن يكون المعنى: قدمت عملًا ينجيني من العذاب، فأكون من الأحياء، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحيَىٰ ١٣ ﴾ [الأعلى: ١٣] (١)

ويوحي أسلوب التمني في هذه الآية إظهار التحسر والتفجع والتأسف يوم القيامة على ما آل إليه حال هذا المفرط المقصر في حق ربه وحق نفسه ، حين أكل مال الأيتام ولم يحض على إطعام الطعام وأكل مال الغير بدون وجه حق إلى غير ذلك من الأعمال القبيحة المبعدة عن الله وعن النجاة يوم القيامة ، في هذا الموقف العصيب إذا حدثت الأحداث وانكشفت عن الإنسان الحجب، ووضح له ما كان عليه، وذهبت عنه الغفلة ، وإذ ذاك يتمنى أن يعود ليعمل صالحًا ، ولكن أنى له ذلك.

ثم بين تذكره بقوله: ﴿ يَقُولُ يَٰلَيتَنِي قَدَّمتُ لِحَيَاتِي ٢٤ ﴾ [الفجر: ٢٤] ؛ أي: يتمنى أن يكون قد عمل صالحًا ينفعه في حياته الأخروية التي هي الحياة الحقيقة ولكن هيهات حيث لا ينفع الندم وقتها .

(١) تفسير حدائق الروح والريحان ٤٢٥/٣١ ، التحرير والتنوير ٣٣٧/٣٠

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصل اللهم على سيدنا ومولانا محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر ، وعلى آله وصحبه وسلم .. وبعد ؛

فقد وصلت إلى نهاية هذا البحث – بحمد الله وفضله وكرمه – ولقد كانت رحلة عظيمة غنية ، أسأل الله بركتها ، ولقد قمت في هذا البحث بدراسة أسلوب التمني في القرآن الكريم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ثم توصلت في نهاية المطاف إلى أهم النتائج والتوصيات وهي كالآتي :

أولا : النتائج :

١ – أن العلماء فرقوا بين التمني والرجاء وذكروا مما ذكروه أن التمني لا يكون إلا في الشيء المستحيل ، اما الرجاء فيكون في الممكن وغير الممكن .

٢ – أن موضوع أسلوب التمني بأداته الأصيلة { ليت } في القرآن الكريم جدير بالدراسة، إذ ورد هذا الأسلوب في القرآن الكريم ما يقرب من ثلاث عشرة مرة .

٣ – بعد دراسة الآيات التي ورد فيها أسلوب التمني بـــ { ليت } تبين لي أن معظمها جاءت في شأن الكفار والمنافقين والعصاة ، وهذا في معظم الآيات التي جاء فيها الأسلوب، باستثناء موضع واحد في القرآن الكريم، كان هذا الأسلوب في حق بعض المؤمنين ، وذلك في سورة يس في قوله ﴿ قِيلَ ٱدخُلِ ٱلجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيتَ قَومِي يَعلَمُونَ ٢٦ ﴾ [يس: ٢٦]

٤ – بعد دراسة هذا الأسلوب تبين لي أن الغرض منه بيان التأسف والحسرة التي يكون عليها حال المتمني .

٥ – الأسلوب القرآني أسلوب معجز ومنفرد عن سائر الأساليب العربية ولن يوجد في لاحق الزمن أسلوب يضاهي أسلوبه .

٦ – النفس الإنسانية لها شأن عظيم تحمل في طياتها الكثير من الأسرار يكشف الله لنا النقاب عن حقائقها وخفاياها ويظهر ما أخفته عن أندادها من خلال هذا الأسلوب .

٧ – أغلب آيات التمني وقوعا في القرآن الكريم يوم القيامة ومن خلاله قرب لنا الله تعالى صورة نار جهنم المنفرة المخيفة في أمنيات الكفار الحارقة الملتهبة ، حيث الإبلاس والعويل والندب والأنين .

ثانياً: التوصيات.

١ – أُوصى أن يعطى الطالب منهجاً مبسطاً فى مرحلة الدراسة الجامعية فيما يخص دراسة بلاغة القرآن الكريم .

٢ – أن تكون أبحاث المرحلة التمهيدية تتعلق بدراسة الأساليب البلاغية الواردة في القرآن الكريم .

٣ – أُوصى الباحثين بتوجيه هممهم نحو كتب التفسير التي عنيت بذكر لطائف التفسير والاهتمام بالناحية البلاغية ، لبيان جانب الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم .

٤ – كما أُوصى بتشكيل لجنة علمية متخصصة ، تقوم بجمع ما تم دراسته في بلاغة القرآن الكريم ، وتعمل على طباعتها، وإخراجه فى أحسن صورة ، ونشره ؛ لإتاحة الفرصة لطلبة العلم لمدارستها والاستفادة من جهود الباحثين السابقين .

ولا أزعم أنني وصلت في هذا البحث إلى درجة الكمال فالكمال لله وحده فإن كنت قد وفقت ، فذلك الفضل من الله وإن كنت قد قصرت في بعض الجوانب ، أو جانبني الصواب ، فأنا بشر والبشر ديدنهم التقصير ، وفي طبعهم الخطأ .

وفي الختام فإن الباحث في علوم القرآن الكريم وبيانه يعيش مع القرآن بعقله

وروحه ، فيحس بجمال القرآن ولمساته البيانية ، وينشرح صدره ، ويزداد يقينه بأن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد ، اللهم زدنا إيماناً بكتابك ، واهتداءً بفرقانك ، واشرح به صدورنا ، ونور به قلوبنا ، ووفقنا لتلاوته وحفظه والعمل بما فيه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ....

المصادروالمراجع

١ – الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ط/دار الحديث بالقاهرة.

٢ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للإمام أبي السعود ، طبعة دار الفكر .

٣ – أسباب نزول القرآن للإمام الواحدي ت/ السيد أحمد صقر ط/ دار القبلة للثقافة الإسلامية ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ه – ١٩٨٤م .

٤ – الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة للجرجاني ت عبد القادر حسين ط دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة .

٥ – إعراب القرآن لمحي الدين درويش ط/ دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، ط/ دار اليمامة – دمشق – بيروت ، ودار ابن كثير دمشق – بيروت الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ .

٦ – أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

٧ – الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ط/ دار الجيل – بيروت – ت / د: محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ – ١٩٩٣ .

٨ – البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م ،ت/د: أحمد النجولي الجمل وآخرين.

٩ – البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن للزملكاني ت/ د: أحمد مطلوب ود/ خديجة الحبيسي ط/ العاني –بغداد– .

١٠ –البرهان في علوم القرآن للزركشي طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة : الأولى ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م

١١ –بصائر ذوي التمييز ط مطبعة نهضة مصر / تحقيق محمد على النجار ، الطابعة الخامسة : ١٤٢٩ه– ٢٠٠٨م

١٢ –بصائر ذوي التمييز ط مطبعة نهضة مصر / تحقيق محمد على النجار ، الطابعة الخامسة : ١٤٢٩ه– ٢٠٠٨م

١٣ –البلاغة العربية للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ط دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيروت الطبعة الأولى .

١٤ –البيان والتبيين لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٤٢٣ هـ .

١٥ –تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي تحقيق : مجموعة من المحققين الناشر : دار الهداية

١٦ –التحرير والتنوير ، ط/ دار سحنون بتونس للنشر والتوزيع .

١٧ –التركيب اللغوي للأدب بحث في فلسفة اللغة و الاستطيقا ، د . لطفي عبد البديع ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان – الجيزة .

١٨ –تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل للإمام القاسمي ، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار الفكر –بيروت– الطبعة الثانية ١٣٩٨ه – ١٩٧٨م

١٩ –تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ، ط/ دار الفكر ـــــ بيروت ـــــ الطبعة الثانية .

٢٠ –تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ، طبعة دار الفيحاء ودار السلام ،الطبعة الأولى .١٤١٤ه – ١٩٩٤

٢١ –التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة

٢٢ –التفسير الكبير أو تفسير مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي ، طبعة دار الغد العربي ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

٢٣ –التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصلين العظيمين – الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة – على فهم الصحابة والتابعين. تفسير منهجي فقهي شامل معاصر الأستاذ الدكتور مأمون حموش المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش الناشر: (المؤلف) الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م

٢٤ –تفسير المراغي للأستاذ / أحمد مصطفى المراغي ، ط / دار الفكر .

٢٥ –التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور / وهبه الزحيلي ، ط/ دار الفكر – دمشق – سوريا ، الطبعة التاسعة ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م

٢٦ –التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور / وهبه الزحيلي ، ط/ دار الفكر – دمشق – سوريا ، الطبعة التاسعة ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م

٢٧ –التفسير الوسيط للشيخ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ، ط/دار السعادة بالقاهرة .

٢٨ –التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) – (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م)

٢٩ –تهذيب اللغة للأزهري تحقيق : محمد عوض مرعب دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م

٣٠ –جامع البيان في تفسير القرآن للإمام بن جرير الطبري ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

٣١ –الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، تحقيق الدكتور /محمود حامد عثمان ،والدكتور/محمد إبراهيم الحفناوى ،طبعة دار الحديث بالقاهرة .

٣٢ –جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي بحث مقدم لنيل درجة الماجستير للباحث / عبد الله المعيتق ١٤٢١ المملكة العربية السعودية جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية .

٣٣ –حاشية الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي دار النشر: دار صادر – بيروت

٣٤ –حاشية القونوي ط/ دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان

٣٥ –حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ / محمد الأمين الهرري الشافعي ، ط/ دار طوق النجاة –بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م

٣٦ –حروف المعاني للزجاج ، ت علي توفيق الحمد الطبعة الأولى ، دار الأمل مؤسسة الرسالة بيروت .

٣٧ –حياة الحيوان الكبرى لمحمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ

٣٨ –دارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م

٣٩ –الدر المصون في علم الكتاب المكنون للسمين الحلبي تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ،وآخرين، طبعة دار الكتب العلمية –بيروت– لبنان ،الطبعة الأولى ١٩٩٤,١٤١٤

٤٠ –الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي ، ط دار الفكر – بيروت .

٤١ –دلالات التراكيب د/ محمد أبو موسى ، ط/ مكتبة وهبه ، الرابعة ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م .

٤٢ –دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني ، ت: محمود محمد شاكر طبعة / مطبعة المدني القاهرة –جدة– الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .

٤٣ –ديوان حسان بن ثابت طبعة الدار العلمية –بدون– .

٤٤ –روح البيان لإسماعيل حقي الناشر: دار الفكر – بيروت

٤٥ –روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام محمود الآلوسي ، طبعة دار الفكر، – بيروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧ .

٤٦ –روضة الناظر وجنة المناظر لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن

قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ تحقيق: عبد العزيز عبد الرحمن السعيد

٤٧ –زهرة التفاسير للشيخ محمد أبو زهرة ، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع ، القاهرة مصر ، الطبعة التاسعة ،١٤٢٨,٢٠٠٧.

٤٨ –سنن بن ماجه ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي

٤٩ –شرح العقيدة الطحاوية ط المكتب الإسلامي وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٠

٥٠ –شرح المفصل لابن يعيش ، ط عالم الكتب – بيروت– .

٥١ –الصحاح للجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٥٢ –الصناعتين لأبي هلال العسكري المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت عام النشر: ١٤١٩ هـ

٥٣ –الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. للإمام / يحيى بن حمزة العلوي اليمني ، تحقيق / محمد عبد السلام هارون . ط : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، بدون تاريخ .

٥٤ –العقيدة السلفية فى كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية لعبد الله بن يوسف الجديع الناشر: دار الإمام مالك، دار الصميعي للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م

٥٥ –علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» للشيخ أحمد بن مصطفى المراغي بدون

٥٦ –العين للخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال

٥٧ –غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) الناشر: مكتبة ابن تيمية

٥٨ –فتحُ البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

٥٩ –الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، طبعة دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابي الحلبي .

٦٠ –الفروق اللغوية لأبي الهلال العسكري ، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر .

٦١ –في علوم القرآن دراسات ومحاضرات للكفافي والشريف . بدون

٦٢ –الكتاب لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٦٣ –الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام الزمخشرى ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤١٥هـ –١٩٩٥م

٦٤ –الكليات لأبى البقاء الكفومى ،تحقيق عدنان درويش ،ط مؤسسة الرساله –

بيروت– ١٤١٩هـ،١٩٩٨م

٦٥ –الكليات لأبي البقاء الكفومى ،تحقيق عدنان درويش ،ط مؤسسة الرساله – بيروت– ١٤١٩هـ،١٩٩٨م

٦٦ –لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن ، ط/ دار الفكر ١٣٣٩ه – ١٩٧٩م .

٦٧ –لسان العرب للإمام بن منظور ، ط/ دار صادر – بيروت الطبعة الأولى .

٦٨ –مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠

٦٩ –مجاز القرآن لأبي عبيدة المحقق: محمد فواد سزگين الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة

٧٠ –مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ) المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد الناشر: دار المعرفة – بيروت، لبنان

٧١ –المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) الناشر: وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الطبعة: ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م

٧٢ –المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام بن عطية ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، طبعة دار الكتب العلمية –بيروت– لبنان .

٧٣ –مختصر المعاني (مختصر لشرح تلخيص المفتاح) لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (المتوفى: ٧٩٣هـ) الناشر: دار الفكر – قم الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ

٧٤ –المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ) الناشر: مكتبه السنة – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م

٧٥ –معالم التنزيل للإمام البغوي ، الطبعة : الأولى الناشر : دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض : ١٤١٦هـ

٧٦ –معاني الحروف للرماني، ت عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ط دار نهضة مصر القاهرة .

٧٧ –معاني القرآن للفراء المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر الطبعة: الأولى

٧٨ –معاني القرآن وإعرابه للنحاس ط/ جامعة أم القرى – مكة المكرمة الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ تحقيق : محمد علي الصابوني .

٧٩ –معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٨٠ –مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب لابن هشام ، ت إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت

٨١ –مفتاح العلوم ليوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

٨٢ –المفردات للراغب الأصفهاني دار النشر: دار القلم ـــ دمشق

٨٣ –مقدمة ابن خلدون لابن خلدون ولي الدي المحقق: عبد الله محمد الدرويش الناشر: دار يعرب سنة النشر: ١٤٢٥ – ٢٠٠٤

٨٤ –من بلاغة القرآن د/ عبد الحميد العبيسي – بدون–

٨٥ –مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني تحقيق: فواز أحمد زمرلي دار النشر: دار الكتاب العربي بيروت الطبعة: الأولى ، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م

٨٦ –المنتخب في تفسير القرآن الكريم لجنة من علماء الأزهر الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام الطبعة: الثامنة عشر، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥

٨٧ –مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي على هامش مختصر سعد الدين التفتازاني .

٨٨ –نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي، طبعة دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة .

٨٩ –النكت والعيون للماوردي ط : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم .

٩٠ –النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ت/ طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، ط/ دار الفكر بيروت ، الثانية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

فهرس محتويات البحث

المقدمة ٢
المبحث الأول : التعريف بمفردات البحث ١٢
المطلب الأول : تعريف الأسلوب في اللغة والاصطلاح ١٢
المطلب الثاني : التمني في اللغة والاصطلاح ١٤
المطلب الثالث : تعريف القرآن لغة واصطلاحا ١٧
المطلب الرابع : أدوات التمني ٢٢
المطلب الخامس : الفرق بين التمني الرجاء ٢٧
المبحث الثاني : آيات التمني في القرآن الكريم بـــ (ليت) دراسة تحليلية موضوعية ... ٢٩
المطلب الأول : تمني المنافقين الفوز والظفر بالغنائم ٢٩
المطلب الثاني : تمني الكفار الرجوع إلى الدنيا يوم القيامة ٣٧
المطلب الثالث : تمني عدم الشرك بالله ٤٦
المطلب الرابع : تمني الموت خشية الفتنة ٥٣
المطلب الخامس : تمني الظالمين اتباع هدي النبي ﷺ وعدم اتباع غيره ٦٠
المطلب السادس : التمني في سياق الانخداع بظواهر الأمور ٦٨
المطلب السابع : التمني في سياق اليأس والقنوط ٧٤
المطلب الثامن : التمني الكاشف عن الصدق والإخلاص ٧٨
المطلب التاسع : تمني الكفار عدم اتخاذ الشياطين قرناء ٨٤
المطلب العاشر : تمني الكفار دوام الموت وعدم البعث ٨٨
المطلب الحادي عشر : التمني في سياق الحرص على الحياة الدنيا ٩٣
الخاتمة ٩٩
المصادر والمراجع ١٠٢